

ما وراء النزعة العسكرية التدخلية التركية في جوارها الإقليمي جغرافيا مضطربة أم مشروع دولة؟

ورقة بحثية صادرة عن مركز إدراك للدراسات والاستشارات

إعداد: جلال خشيب

مركز إدراك للدراسات والاستشارات

كانون الثاني / يناير ٢٠١٨

إِدْرَاك IRAK
FOR STUDIES & CONSULTATIONS • للدراسات والاستشارات

المحتوى

- ٤..... مُقدمة:
- i. مدخلٌ نظريُّ: التدخّلات العسكرية والحروب اللاتماثلية: ٧.....
- ١- لماذا تتدخلُ الدولُ عسكرياً؟ الحروب الوقائية والحروب الاستباقية: ٧.....
- أ- التدخل لأجل أغراض إنسانية: ((The humanitarian intervention)) ٨.....
- ب- الحروب الوقائية والحروب الاستباقية: (Preventive and Preemptive War) ١١.....
- ٢- الحروب اللاتماثلية: حروب الجيل الرابع: ١٤.....
- طبيعةُ عملِ تنظيمات الجيل الرابع من الحروب وخصائصها: ١٧.....
- ii. تحليلٌ ميدانيُّ: ظروف وأسباب التدخّل العسكري التركي في الجوار الإقليمي: ١٩.....
- ١- جغرافياً مُضطربة.. أبرز التدخّلات العسكرية التركية الإقليمية منذ نشوء الدولة: ١٩.....
- أ. المسألة القبرصية: ٢٠.....
- ب. المسألة العراقية: ٢٣.....
- ج. تركيا ومسألة التدخّل العسكري للناتو في ليبيا: ٢٧.....
- د. تركيا في مواجهة الأزمة الخليجية الراهنة، هل هو نمط جديد من التدخّلات العسكرية التركية؟ ٢٨.....
٢. تهديدات وشيكة.. الأزمة السورية والتدخّل العسكري التركي الراهن: ٣٠.....
- أ. قبل الأزمة: ٣٠.....
- ب. بداية الأزمة: ٣١.....
- ج. في خضمّ الأزمة: ٣٢.....
- خاتمة واستنتاجات: ٣٦.....
- المراجع المستخدمة في الدراسة: ٣٨.....

مُلخَصٌ تنفيذيٌّ:

تُناقشُ هذه الورقة البحثية ما يقف وراء الحالة المتكرّرة من التداخلات العسكرية التي تُبديها تركيا في جوارها الإقليمي، أهُوَ سلوكٌ تفرضه الجغرافيا المضطربة المحيطة بتركيا أم هو سلوكٌ نابعٌ من إرادةٍ واعيةٍ لدى صانع القرار التركي الذي يُباشِرُ مشروعًا قومياً في تشكيل الجوار الإقليمي لبلده؟ إذنً، تعملُ هذه الورقة على إجلاء الأبعاد، الظروف، الخلفيات والأسباب التي تدفعُ دولةً كتركيا بأن تُبدي نزعاً عسكرياً في سياستها الخارجية خلافاً لما هو متوقَّع من دولةٍ حطَّت خطواتٍ متقدّمةً جدّاً نحو الديمقراطية والليبرالية الغربية. بعد أن تُلخِّصُ هذه الورقة أبرزَ التداخلات العسكرية التي عرفتتها السياسة الخارجية التركية في تاريخها، تذهبُ إلى تسليط الضوء على ما يجري في "حديقة تركيا الخلفية" أي الشمال السوري، أين لجأت تركيا مجدّداً إلى آلية التدخل العسكري في التعامل مع مشاكلها الجوارية. ما يميّزُ هذه الورقة هو محاولتها تقديم قراءةٍ نظريةٍ لمثل هذه التداخلات العسكرية التي تلجأ إليها الدولة كآلية حاسمة في تنفيذ سياستها الخارجية، وما يمكنُ أن ينجم عن ذلك اليوم من تحدياتٍ عسكريةٍ وذلك اعتماداً على ما يُقدِّمه خبراءُ الحرب والإستراتيجية العسكرية عمّا يُسَمَّى بالتدخلات الإنسانية، الحروب الوقائية/الاستباقية وحروب الجيل الرابع.

الكلمات المفتاحية:

النَّزعة العسكرية، التدخل العسكري، حروب الجيل الرابع، الحرب الاستباقية، الحرب الوقائية، حروب الوكالة، ميليشيات مقاتلة، السياسة الخارجية التركية.

¹ جلال خشيب: باحث في مركز إدراك للدراسات والاستشارات - إسطنبول-تركيا، شارك في عدد من المؤتمرات الأكاديمية الدولية، وله العديد من الكتب، الترجمات، المقالات والدراسات العلمية المنشورة، تهتم أعماله بمجال الجيوبوليتيك، السياسة الدولية ونظريات العلاقات الدولية وكذا الفكر السياسي الإسلامي المعاصر

مقدمة:

بعدما تُرسي الدولة تصوّراتها النظرية الشاملة عن التوجّهات الكبرى لسياستها الخارجية تجاه محيطها الإقليمي والدولي، تُحدّد أدوات متعدّدة كآلياتٍ عمليّةٍ لتجسيدٍ وتنفيذٍ هذه التصوّرات النظرية على الميدان، وعادةً ما يجري عُرفُ لدى هذه الدولة مُستمرٌّ عبر تاريخها فيما يخصُّ المبادئ الأساسية التي تقوم عليها سياستها الخارجية أو فيما يتعلّق بأدوات تجسيد هذه السياسة، كأن تتبني الدولة (أ) مبدأ حق الشعوب في تقرير مصيرها، فيحكّم هذا المبدأ سلوكياتها الميدانية تجاه الجيران أو مواقفها الدبلوماسية في المحافل الإقليمية والدولية، أو تتبني الدولة (ب) مبدأ ترويج الديمقراطية في العالم، فتسعى من خلاله عبر مواقفها وسلوكياتها الدولية إلى الضغط على الأنظمة السياسية الاستبدادية في العالم بل وتذهب إلى مواجهتها أيضاً. وحسب كلاسيكيات السياسة الخارجية، فإنّ للأخيرة وجهان متكاملان وهما: الدبلوماسية والحرب، فالسياسة الدولية عبارة عن: فترةٍ سلمٍ وفترةٍ حربٍ، لذا فهي منقادةٌ بشخصين: إمّا الدبلوماسي أو الجندي، اعتماداً على المقاربة الكلاسيكية التي طرحها الباحث الفرنسي الواقعي ريمون أرون، فالحرب بالنسبة له، ما هي إلا أداةً ثانيةً في السياسة الخارجية للدول، تلجأ إليها حينما تفشل أداؤها الأولى أي الدبلوماسية في تعاملها مع الدول الأخرى، وأحسن من عبّر عن هذه الثنائية الكلاسيكية في تاريخ السياسة الدولية هو الإستراتيجي الألماني كارل فون كلوزفيتز، حينما قال بأن: "الحرب هي امتدادٌ للسياسة بوسائل أخرى"، أي حينما تستنفذ الدولة كافة الجهود السلمية الدبلوماسية لحلّ مشكلة ما، تبرز الحرب كأداةٍ حتميةٍ لا مفرّ منها، فالتحدّي هنا، مفروضٌ من البيئة التي تُحيط بتلك الدولة أساساً. لكن، قد تكون الحرب عبارةً عن إمتدادٍ مستمرٍ لمشروعٍ سياسيٍ ما للدولة الطموحة، أو لنقل الدولة الطامعة فيما وراء الحدود، دولةً تريد أن تُشكّل محيطها بالشكل الذي يتوافق مع مصالحها ورؤاها الإستراتيجية الكبرى. على ضوء هذه الثنائية، يتسائل كثيرون عن الدوافع الكامنة التي تقف وراء إلتجاء تركيا إلى الحرب كأداةٍ في تنفيذ سياستها الخارجية الهادفة قبل كلّ شيء إلى حماية بقاءها وأمنها القومي كأية دولةٍ أخرى. لقد بدت ملامح هذه "النزعة العسكرية" في السياسة الخارجية التركية في عدّة مناسبات تاريخية، كمسألة جزيرة قبرص، التدخل في شمال العراق، التدخل في سوريا مؤخراً وغيرها، حتّى بدا بأنّ "التدخل العسكري" صار مبدءاً من المبادئ الأولية للسياسة الخارجية التركية.

تُناقش هذه الورقة البحثية، أسباب وأبعاد ما تُسمّىه "بالنزعة العسكرية" في السياسة الخارجية التركية، عبر طرح الإشكالية التالية :

هل تُرجع النزعة العسكرية التدخّلية التي بدت ملامحها متكرّرةً في السياسة الخارجية التركية إلى مشروع إرادةٍ واعيةٍ من طرف صانع القرار، يهدف من خلالها إلى تشكيل البيئة الإقليمية لتركيا تبعاً للمصالح القومية التركية، أم أنّ ذلك راجعٌ إلى التحدّيات الطارئة التي أفرزتها جغرافيةُ البيئة الإقليمية والدولية الجديدة المُحيطة بتركيا والتي تفرضُ عليها تبني مثل هذه المقاربة؟

فرضية الورقة البحثية:

مخرجات البيئة الدولية لنظام ما بعد الحرب الباردة وما أفرزته من أنماط جديدة من التحديات، الأخطار والتهديدات، تفرض على تركيا -المُحاطةً بجغرافيا غير مستقرة مُصدِّرةً لمثل هذه الأنماط باتجاه الخارج- أن تتبني مقاربةً تدخليّةً في سياستها الخارجية في جوارها الإقليمي بهدف حماية أمنها القومي واستقرارها الوطني بشكلٍ استباقيّ.

التساؤلات الفرعية :

نطرح هنا جملة من التساؤلات المُساعدة على تحليل الدراسة، أهمّها:

- ✓ ما هي أسباب ومُحفّزات التدخّل العسكري التركي ما وراء الحدود؟
- ✓ ما طبيعة هذه التدخّلات؟ هل هي تدخّلاتٌ هجوميةٌ تُعبّر عن رغباتٍ كولونياليةٍ تقليديةٍ لدى صانع القرار أم أنّها لا تتعدّد كونها تدخّلاتٍ دفاعيةٍ تهدفُ للحفاظ على سلامة الحدود؟
- ✓ هل تُعتبر مخرجات الأزمة السورية -ومن قبلها العراقية- لاسيما مجموعة الميليشيات العسكرية على الحدود الجنوبية لتركيا دافعًا جدّيًا ومقننًا وراء التدخّل العسكري التركي الأخير في شمال سوريا؟
- ✓ هل تُمثّل مثل هذه الميليشيات تهديدًا حقيقيًا للأمن القومي التركي؟
- ✓ هل لتركيا القدرة على كسب حروبها ضدّ ميليشيات عسكرية تحاربُ بأساليب حروب الجيل الرابع؟
- ✓ ألا تُوجد أدواتٌ ووسائلٌ أخرى يمكن أن تلجأ إليها تركيا لصدّ أشكال التهديدات والمخاطر القادمة من الجوار؟
- ✓ كيف نقرأ توقيت التدخّل العسكري التركي الأخير في شمال سوريا، وهل لهذا التوقيت علاقة بالوضع السياسي الداخلي أو الخارجي الذي تمرّ به تركيا في الفترة الحالية؟
- ✓ ماذا عن الإنتشار العسكري التركي الأخير في قطر، هل سيُشكل نمطا جديدا من التدخّلات العسكرية التركية في المستقبل المنظور؟

للإجابة على إشكالية ورقتنا البحثية، وما رافقها من تساؤلاتٍ نضعُ الخطة البحثية الموالية:

خُطّة الدراسة:

مقدمة

i. مدخلٌ نظريّ: التدخّلات العسكرية والحروب اللاتماثلية.

١. لماذا تتدخّل الدول عسكريًا؟ الحروبُ الوقائية والحروب الاستباقية.

٢. الحروب اللاتماثلية.. حروبُ الجيل الرابع.

- ii. تحليل ميداني: ظروف وأسباب التدخّلات العسكرية التركية في الجوار الإقليمي.
1. جغرافيا مضطربة.. أبرز التدخّلات العسكرية التركية الإقليمية منذ نشوء الدولة.
 2. تهديدات وشيكة.. الأزمة السورية والتدخّل العسكري التركي الراهن.

خاتمة واستنتاجات

إدراك للدراسات والاستشارات

i. مدخلٌ نظريٌّ: التدخّلات العسكرية والحروب اللاتماثلية:

يَعْمَلُ هذا المحور على تأطير الدراسة نظريًا وفقًا لأهمّ ما كتبه خبراءُ الحرب والدراسات العسكرية بخصوص نمط التدخّلات العسكرية الحديثة وكذا الحروب اللاتماثلية التي صارت ظاهرةً سائدةً جديدةً في القرن الحادي والعشرين، وذلك لما لها من علاقةٍ مباشرةٍ بنمط الحرب التي تخوضها تركيا في جوارها الإقليمي في الوقت الراهن.

١- لماذا تتدخلُ الدول عسكرياً؟ الحروب الوقائية والحروب الاستباقية:

إنَّ الإجابة عن مثل هذا السؤال تتطلب دراسةً تاريخيةً معمّقةً في تاريخ النزاعات والحروب بين الأمم، دراسة بإمكاننا أن نخرج منها ببعضٍ من التقدير الكميّ، يُحدّد ويقيس الدوافع التي تقف وراء قرار الدولة-الأمة القاضي بإرسال قواتها العسكرية ما وراء حدودها السياسية وهي التي أوجدتها لتحارب لأجل أمن تلك الحدود وما بداخلها. لقد عرف التاريخُ العسكري كثيرًا من الحروب والمعارك بين الأمم ولم تكن كلُّ تلك الحروب والمعارك ذات هدفٍ واحدٍ كما لم تكن ذات نمطٍ واحدٍ وفريدٍ. لكن، وبالرغم من الطبيعة التطوريّة للحرب إستجابةً للتغيّرات الإجتماعية، السياسية والاقتصادية العالمية، فضلًا عن أثر الإنتاج الجديد للتكنولوجيا في الحرب، فإنّه من الضرورة أن نضع في إعتبارنا بأنّ الحرب لا تزال حربًا، وهي محاولةٌ لإجبار جماعةٍ أخرى من الناس لفعل شيء لا يريدون فعله. لاحظ العقيد السابق في القوات الجوية الأمريكية جون بويد^١ (John R. Boyd) أحدُ الإستراتيجيين المؤثرين في القرن العشرين، أنّه وحتى تُتمّ جماعةٌ معيّنة أهدافها، فإنّه ينبغي عليها أن:

- ✓ تُقلِّل من قدرات حُصومها على العمل المستقل.
- ✓ تمنعهم من إيجاد فرصةٍ للبقاء على شروطهم الخاصة، أو..
- ✓ تمنعهم من فرصةٍ تحقيق البقاء أصلاً.

حينما يحدث هذا الوضع، والذي قد يكون بسبب العوامل المذكورة أعلاه أو بسبب التنافس على مواردٍ محدودةٍ، إندلاعُ نزاعٍ ما، أو محاولةٌ أحد الأطراف تحقيق أهدافه عبر العُنف المُسلح، فإننا نسعى ذلك حربًا^٢.

^٢ جون بويد، أشهر طيارٍ مقاتلٍ في سلاح الجو الأمريكي، عمل مستشارًا للبننتاغون في أواخر القرن العشرين، ويعتبر من أحد الإستراتيجيين المؤثرين في هذا القرن.

^٣- Chet Richards, Adams and Partners, **Fourth Generation Warfare**, Defence and The National Interest: project white horse, p: 01.

لَسْنَا هنا بصددِ الإجابة عن السؤالِ الذي طرحه ريتشارد نيد ليبو^٤ والذي حمل عنوانًا لكتابه التأسيسي المهم "لماذا تتحارب الأمم؟"^٥ بقدر ما نقصُرُ على مناقشة الأطر النظرية للتدخلات العسكرية التي تُنفذها الدولة الويستفالية في القرن الحادي والعشرين وما يفرضه ذلك من تحديات بالنسبة لها. يمكن فيما يلي أن نخلص دوافع التدخلات العسكرية في عاملين أساسيين يقفان وراء سلوك الدول عمومًا وفي هذا الصدد بالضبط، وهما عاملاً: المبدأ والمصلحة. بالنسبة للدفاع الأول، فهو يُعبّر عن المنظومة القيمية التي تحملها الدولة كتقليدٍ سائدٍ أو عقيدةٍ راسخةٍ في سياستها الخارجية، كأن نقول بأنّ الدولة (أ) تُؤمن بمبدأ "حق الشعوب في تقرير مصيرها"، وبالتالي فإنّ هذا المبدأ يُحدّد إطارًا عامًا يُفهم من خلاله سلوك هذه الدولة في المحافل الدولية والأزمات الإقليمية المحيطة بها. أمّا الدافع الثاني وهو المصلحة، فهو يتضمّن كلّ ما يمكن أن يضمن لتلك الدولة بقاءها أولاً ثمّ أمنها ثمّ نفوذها ومستوى تأثيرها في محيطها الإقليمي والدولي. ومن نافلة القول، أنّ هذين الدافعين يختصران نقاشًا نظريًا تقليديًا في حقل العلاقات الدولية بين أصحاب النظرية المثالية/الليبرالية من جهة وأصحاب النظرية الواقعية من جهة أخرى بخصوص الدوافع المتحكّمة في سلوك الدول في السياسة الدولية. وإذا ربطنا هذين الدافعين بموضوع بحثنا هذا محاولين تأطير إجابةٍ نظريةٍ لسؤال: "لماذا تتدخل الدول عسكريًا ما وراء حدودها؟" فسوف نجد أنفسنا بصدد الحديث عن نمطين أساسيين من التدخلات العسكرية: النمط الأول وهو التدخل من أجل أغراض إنسانية، أمّا النمط الثاني فيُعبّر عنه ما يُسمّى بالتدخل الوقائي والتدخل الإستباقي (أو قد تكون ضربةً وقائيةً وأخرى إستباقيةً أو حربًا وقائيةً وأخرى إستباقيةً)، هذا إذا إستثنينا الغزو أو الاحتلال بإعتباره وسيلة تقليدية جدًّا للطريقة التي تُعبّر بها الدول/الممالك/القبائل عن رغبتها في توسيع قوتها ونفوذها.

أ- التدخل لأجل أغراض إنسانية: ((The humanitarian intervention))

يُعرفُ أدام روبرت^٦ (Adam Roberts) "التدخل الإنساني بأنه: "تدخلٌ عسكريٌّ في دولةٍ ما من دون موافقة سُلطتها، بغايةٍ منّ المعاناة القائمة أو الموت المنتشر بشكلٍ واسعٍ بين سُكّانها". ووفقًا لمارثا فينيمور^٧ (Martha Fennemore)، فإنّ التدخل الإنساني هو: "تدخلٌ عسكريٌّ مع هدف حماية أرواح وثروة المواطنين الأجانب". وبعابرة الأستاذ (Bhikhu Parekh)^٨، فإنّ التدخل الإنساني هو: "سلوكٌ تدخليّ في الشؤون الداخلية لبلدٍ آخر مع رؤية لإنهاء المعاناة الجسدية

^٤ ريتشارد نيد ليبو: عالم سياسة أمريكي، عُرف بأعماله ثقيلة الوزن في العلاقات الدولية، علم النفس السياسي وفلسفة العلم.

^٥ أنظر: ريتشارد نيد ليبو، لماذا تتحارب الأمم؟ دوافع الحرب في الماضي والمستقبل، ترجمة: إيهاب عبد الرحيم علي، عالم المعرفة، أغسطس ٢٠١٣، الكويت.

^٦ أدام روبرتس، أستاذ العلاقات الدولية بجامعة أوكسفورد، وزميلٌ بكلية باليون بنفس الجامعة، من مؤلفاته: "عالمٌ منقسم"، "أسلحة الأمم: نظرية وممارسة الدفاع الإقليمي"، "وثائق قوانين الحرب" بالاشتراك مع باحثٍ آخر.

^٧ مارثا فينيمور، أستاذة العلوم السياسية والشؤون الدولية بجامعة جورج واشنطن الأمريكية، من مؤلفاتها: "العودة إلى القواعد: قوة الدولة في العالم المعاصر"، "من يحكم العالم؟"، "قواعد العالم: المنظمات الدولية في السياسة العالمية".

^٨ بيخو بارخ، أستاذ العلوم السياسية والاجتماعية والعلاقات الدولية بجامعة بومباي وجامعة لندن، وهو زميلٌ في الأكاديمية الملكية للفنون، وأستاذ الفلسفة في جامعة ويستمنستر البريطانية، مجالات اهتمامه هي الفلسفة السياسية، تاريخ الفكر السياسي، النظرية الاجتماعية، الفكر السياسي الهندي القديم والمعاصر، من مؤلفاته: "إعادة التفكير في التعددية الثقافية: التنوع الثقافي والنظرية السياسية"، "غاندي"، "الكولونيالية، التقليد والاصلاح" وغيرها من المؤلفات.

التي سببها التفكك أو سوء الاستخدام الجسيم لسلطة الدولة، مساعدًا على إيجاد ظروفٍ تَسمحُ بصعود بنية سلطةٍ مدنيةٍ تكونُ قابلةً للحياة".⁹

من هذه التعريفات يمكن استخلاص جملة من الخصائص المُميّزة لمفهوم التدخّل الإنساني، فهو:

- ✓ عمليةٌ تلجأ فيها الدولة المُتدخّلةُ إلى استخدام القوة العسكرية.
- ✓ عمليةٌ يغيب فيها الإذن بالسماح من طرف الدولة المستهدفة، وهذا ما يجعلُ الفعل تدخلاً إنسانياً ويُميّزه عن عملية حفظ السلام.
- ✓ لا يتمثّل هدف التدخّل الإنساني في مساعدة مواطني الدولة المُتدخّلة في الخارج، فهو متعلّقُ بمساعدة غير مواطني هذه الدولة المُتدخّلة.
- ✓ لا تقتصرُ الجهة المُتدخّلة على الدول وحسب، فهناك توجّهٌ حديثٌ لتضمين التدخّلات التي تجري تحت مظلة الأمم المتحدة ضمن إطار التدخّل الإنساني.¹⁰

هناك مُصطلحٌ آخرٌ مشابهٌ جاءَ كتطوّرٍ حديثٍ لمبدأ حقّ التدخّل الإنساني وهو مُصطلحُ "مسؤولية الحماية" (The Responsibility To Protect) والذي صار منتشرًا بعد سنة ٢٠٠٥ بقوة كمقاربةٍ جديدةٍ لحماية الشعوب من الأعمال الوحشية الفظيعة التي يُمكن أن تلحق بهم من طرف نظامهم السياسي أساسًا. وقد جاء هذا المبدأ ضمن أعمال هيئة الأمم المتحدة العالمية سنة ٢٠٠٥، مشيرًا إلى أنّه في الوقت الذي تكونُ الدولة فيه غير مستعدةٍ أو غير قادرةٍ على حماية مواطنيها من إمكانية فقدانهم لحياتهم في الوقت الحاضر أو المحتمل (سواءً مع وجود قصدٍ للإبادة الجماعية أم لا) أو من "تطهير عرقي" واسع النطاق، فإنّ مبدأ عدم التدخّل في الشؤون الداخلية للدول الأخرى يتراجع ليحلّ محلّه مبدأ المسؤولية الدولية للحماية. ترتكزُ مسؤولية الحماية على إدراك أنّ النظام الدولي يكون أفضل من حيث بناءه واستقراره من خلال مبدأ عدم التدخّل في الشؤون الداخلية للدول الأخرى. لكن، هذا المبدأ بسبب احترامه لسيادة الآخرين في كلّ الأحيان يُواجه خطرَ التورّط في المجازر الإنسانية التي تجري في مكان ما وراء الحدود في حالة السكوت عنها، لذلك تبقى مسؤولية الحماية وجهة نظر السيادة التي تُؤكّد على أنّها سمةٌ محدّدةٌ لها القدرة على توفير الحماية بدلاً من السيطرة على الأرض.¹¹ لِهذَيْن المبدأين

⁹ - Şanan Kardaş, **Humanitarian Intervention: The Evolution of The Idea and Practice**, Perceptions Journal Of International Affairs, June - July 2001 Volume VI - Number 2, p: 01-02.

<http://sam.gov.tr/wpcontent/uploads/2012/02/SabanKardas2.pdf>

¹⁰ - Ibid, p: 02.

¹¹ - Eve Massingham, **Military Intervention for Humanitarian Purposes: The Responsibility to Protec Doctrine: Does the Responsibility to Protect doctrine advance the legality of the use of force for humanitarian ends?**, International Review of The Red Cross, Volume 91 Number 876 December 2009, p: 804.

<https://www.icrc.org/eng/assets/files/other/irrc-876-massingham.pdf>

جدورهما التاريخية^{١٢}، ففي القرن ١٥ م انتشرت نظريةً دينيةً عن "الحرب العادلة، Just-War"، وقد عبرت عن مضمون مفهوم التدخل الإنساني ومسؤولية الحماية^{١٣} وإن لم يتم ذكر هذا المصطلح.

من نافلة القول، الإشارة إلى أنّ عملية التدخل الإنساني العسكري هذه أو ممارسة الدول لمسؤولية الحماية تجاه دولة أخرى، عادةً ما ارتبطت ببلوغ هذه الأخيرة حدًا بليغًا من التفكك، وهو ما اصطلح على تسميته بالدولة الفاشلة (Failed State) وما شابهها من أنماط الدول "الهشة" "الضعيفة" أو حتى "المتهارة" أو "شبه المتهارة"، إذ يُنظر إليها على أنّها دولٌ ضعيفةٌ وغير فعّالةٍ في توفير خدماتٍ عامةٍ أساسيةٍ كالسيطرة الإقليمية، التعددية، الرعاية الصحية والمؤسسات الشرعية لشعوبها، وغير قادرٍ بل ليس لها الإرادة أو لحدّ أقل متواطئة في انتهاك الحقوق الأساسية لشعبها. بغضّ النظر عن أسباب هذا الفشل أو اللااستقرار، فإنّ عملية إحياء هذه الدولة تتطلب أساسًا مساعدةً أو تدخلًا خارجيًا، سواء كان تدخلًا عسكريًا أو اقتصاديًا. من أمثلة تطبيق هذا المبدأ إزاء أمثلة لدولٍ فاشلةٍ أو منهارةٍ، نجد تدخل الولايات المتحدة بعد الحرب الباردة عسكريًا في عددٍ من مثل هذه الدول، على خلفية أنّ تدخلاتها هذه سوف تساعد على استعادة هذه الدول لاستقرار الإقليم الجغرافي الذي تتواجد فيه أيضًا، من خلال حماية حقوق الإنسان وترويج الديمقراطية، لقد تدخلت الولايات المتحدة في العراق سنتي ١٩٩١ و ٢٠٠٣، وفي الصومال سنة ١٩٩٢، هايتي سنة ١٩٩٤، البوسنة ١٩٩٥، كوسوفو ١٩٩٩ وأفغانستان ٢٠٠١، هذه التدخلات لم تكن بموافقة حكومات هذه الدول.^{١٤}

اليوم تتواجد على حدود تركيا المستقرة سياسيًا وديمقراطيًا والمزدهرة اقتصاديًا أمثلةً عن مثل هذه الدول الفاشلة أو السائرة في طريق الفشل أو الانهيار على غرار سوريا والعراق، دولٌ صارت مصدرًا أساسيًا مروّجًا لكافة أشكال المخاطر والتهديدات باتجاه تركيا وما جاورها من مناطق الاستقرار الديمقراطي، وهي مسألةٌ مهددةٌ للأمن القومي لهذه الدول وتتطلب تحركًا حذرًا ومدروسًا من قبل صنّاع قرارها، قد يكون على شكل تدخل إنساني تحت رعاية الأمم المتحدة، أو تحركًا

^{١٢} لقد رأى الفيلسوف الروماني فرنسيسكو دي فيتوريا ((Vitoria ١٤٩٢-١٥٤٦)، ذلك بإعتباره واجب الدول المتمدّنة للتدخل في الدول الرجعية لإنهاء الممارسات للإنسانية على غرار الوحشية والتضحية الإنسانية ولنشر المسيحية أيضًا. أضاف الفقيه القانوني الألماني الأشهر عبر التاريخ هيفو غروشوس (Grotius) (١٦٤٥-١٥٨٣)، إلى أنّ هذه سمةٌ مهمّةٌ لقمع الوثنية، الإلحاد والفجور الجنسي. الأكثر من ذلك، التمس مفهوم مسؤولية الحماية والتدخل الإنساني بشكل عام في كتابات أرسطو، لاسيما كتابه السياسة، فقد أشار إلى أنّ الحرب هي وسيلةٌ للدفاع عن الحقّ في حياةٍ جيّدةٍ، ومساعدة الآخرين للمشاركة وتقاسم حياةٍ جيّدةٍ. في المقابل وبشكليّ مشابه، فإنّ مبدأ عدم التدخل في الشؤون الداخلية للدول الأخرى والذي يُعتبر أحد دعائم النظام الدولي الراهن، له جذوره في التاريخ، فمنذ اتفاقيه ويستفاليا التي أنهت ثلاثين سنة من الحرب الفتاكة في أوروبا، كانت مبادئ الدولة القومية وحصانة الإقليم الأرضي مبادئًا صاعدةً، وقد كان الافتراض الأساسي لذلك هو أنّ النظام الدولي يصيرُ أحسن توازنًا وأكثر استقرارًا من خلال احترام مسألة عدم التدخل في الشؤون الداخلية للدول الأخرى.

See: Eve Massingham, Op Cit, p: 810-811.

¹³- Eve Massingham, Op Cit, p: 810-811.

¹⁴- Sonali Huria, Failed States and Foreign Military Intervention: The Afghanistan Imbroglio, Institute of Peace and Conflict Studies IPCS Special Report 67, February 2009, New Delhi, India, p: 01.

http://ipcs.org/pdf_file/issue/SR66-Sonali-Final.pdf

عسكريًا من نمط آخر، كأن يكون عمليةً عسكريةً وقائيةً أو إستباقيةً تتخلّص من الخطر/التهديد في مهده، ما سوف نراه في العنصر الموالي.

ب- الحروب الوقائية والحروب الاستباقية: (Preventive and Preemptive War)

تخلّص مفهومًا الحرب الوقائية والحرب الاستباقية بقوة نقاشات الباحثين وصنّاع القرار في العالم عمومًا في القرن الحادي والعشرين، وأحسنُ مثالٍ يُوضّح هذين المفهومين هو سلوكُ الولايات المتحدة تجاه العالم بعد أحداث ١١ سبتمبر، إذ تم مناقشة السبيل الأمثل لمواجهة مثل هذه التهديدات والمخاطر الجديدة على الساحة الدولية، والأدوات المناسبة لذلك، وقد ارتبط ذلك أساسًا بثلاثة أبعاد: الإستراتيجية القومية: هل حريٌّ بها أن تستعمل القوة الوقائية أم الاستباقية؟ نمط العمل العسكري: وهو الفعلُ المُتوخّى، كأن يكون ضربةً أو حملةً عسكريةً؟ نمطُ الهدف: أي الهدف المحتمل، هل هو جماعةٌ إرهابيةٌ أم دولةٌ؟

يُشيرُ جو بارنز وزملاؤه (Joe Barnes and his partners) من معهد جيمس بيكر ٣ للسياسة العامة، جامعة رايس الأمريكية، في دراسةٍ مشتركةٍ لهم، بأنّ هذه الأبعاد الثلاثة سوف تُساعد على إيضاح الاعتبارات الأساسية التي أخذت مكانها على الطاولة حينما تُناقش الولايات المتحدة مسألة استخدام القوات العسكرية، فبعد أحداث ١١ سبتمبر وحسب الحكومة الأمريكية، فإنّ التقنيات التقليدية (في مواجهة العدو) على غرار الردع والاحتواء سوف لن يكون بوسعها مواجهة شبكات الإرهاب الشبكية أو الدكتاتوريين غير المتوازنين الذين يمتلكون أسلحة الدمار الشامل. لتجنّب هذا الخطر يدعو تقريرُ إستراتيجية الأمن القومي (NSS) الولايات المتحدة إلى أن تستعدّ أولاً لتوجيه الضربة إلى العدو قبل أن يفعل، يضيف التقرير: "أننا إذا ما نظرنا إلى التهديدات حتّى تنضج وتكتمل تمامًا، فسوف نضطرُّ إلى الانتظار طويلاً".^{١٥} أمّا في تفصيلهم لهذه الأبعاد، يكتبُ بارنز وزملاؤه، بأنّ:

"أولّ الأبعادِ هو نمط الإستراتيجية القومية، وصنّفني هذه الإستراتيجية هما الحرب الاستباقية والحرب الوقائية. الحرب الاستباقية هي خوض عملٍ عسكريٍّ ضدّ الهدف حينما يكون هناك حدثٌ لاشكّ فيه بأنّ هذا الهدف على وشك القيام بهجومٍ عسكريٍّ. أمّا الحرب الوقائية، فهي القيامُ بعملٍ عسكريٍّ ضدّ هدفٍ ما حينما يكون هناك إيمانٌ بأنّ هجومًا من طرف هذا الهدف لن يكون وشيكًا، ولكن لا مفرّ منه، وحينما يكون التأخير في الهجوم مشتملاً على خطرٍ عظيمٍ". يُقدّمُ هنا جون بارنز أمثلةً افتراضيةً لكلٍ منهما، يقول: "فلنتخيّل أنّه وأثناء الحرب الباردة اعترضت الولايات المتحدة رسالةً من طرف قيادة الاتحاد السوفياتي وفككت شفرتها، وهي تأمرُ بشنّ ضربةٍ نوويةٍ ضدّ الولايات المتحدة، لكن قيادة الولايات المتحدة كان لها القدرة على إعطاء أوامر لتنفيذ ضربةٍ ضدّ الاتحاد السوفياتي قبل أن تستطيع موسكو إطلاق صواريخها ضدّ الولايات المتحدة. يُمكن لهذا أن يكون مثلاً جيّدًا عن الحرب الاستباقية. الآن، فلنتخيّل بأنّه وأثناء الحرب الباردة، خلّصت

¹⁵- Joe Barnes and Others, *Preemptive and Preventive War: A Preliminary Taxonomy*, The James A. Baker III Institute For Public Policy, Rice University, March 2007, p: 04-05.

https://www.bakerinstitute.org/media/files/Research/50987fa2/Preemptive_and_Preventive_War-1.pdf

القيادة الأمريكية بأنّ الاتحاد السوفياتي قادر (أ): إلى حدّ ما في المستقبل أن يشنّ هجوماً ضدّ الولايات المتحدة. (ب): أنّه خلال بضعة سنين قادمة، سوف يكون بإمكان الاتحاد السوفياتي أن يلحق دماراً كبيراً بالولايات المتحدة أكثر ممّا يُمكن أن يفعله الآن. لا وجود لفعليّ هجومٍ في هذا السيناريو، لكن، إذا ما شنتّ الولايات المتحدة هجوماً ضدّ الاتحاد السوفياتي تحت هذه الظروف، فسوف يُعتبر هجوماً وقائياً".

ثاني هذه الأبعاد هو نمط الفعل العسكري، والصنفين الموجودين ضمن هذا النمط، حسب بارنز وزملاؤه دوما، هما: الضربة العسكرية والحملة العسكرية. يقول: "توصّف الضربة إلى حدّ ما بالعملية العسكرية، يُمكن أن تشتمل على هجومٍ لأكثر من هدفٍ واحدٍ، ويمكن أن يمتد الهجوم على مدى زمنٍ قصيرٍ من الأيام. لكن، الهدف يكمن في أن يشتمل على تدمير عددٍ من الأهداف المنفصلة أو لأجل الاستيلاء على عددٍ معيّنٍ من الناس والأشياء، أمّا الحملة العسكرية فهي أكثر كثافةً، فهي سلسلة من العمليات العسكرية لها هدفٌ مشتركٌ. يُمكن أن يكون ذلك أقلّ مستوىً من الحرب أو احتلال دولة، رغم ذلك، فبإمكانها أن تبلغ هذا المستوى. فلنتخيّل بأنّ الحكومة الأمريكية عرفت بأنّ "دولة مارقة" ما قامت بتطوير سلاح دمارٍ شاملٍ، وأنّ هذه الجهود ارتكزت على جملةٍ من التسهيلات الصغيرة، فمن المُمكن أن تتعرّض هذه التسهيلات إلى سلسلة متّسقة من الهجمات الجويّة، وهذا ما يُسمّى بالضربة العسكرية. الآن، فلنتخيّل "دولة مارقة" أخرى تُباشِر تهديداً ما وأعمالاً عدوانية ضدّ جيرانها بشكلٍ متكرّرٍ، فإنّ استجابة الولايات المتحدة ستكون عبر اجتياح واحتلال هذه الدولة المارقة، يمكن أن نُسمّي هذا الفعل بالحملة العسكرية. تستمرّ الضربة لمُدّةٍ قصيرةٍ من الزمن فقط بما يكفي لشنّ غارةٍ، أمّا الحملة فتتضمّن عدداً متنوعاً من الأعمال العسكرية التي تُعدّ لأجل بلوغ هدفٍ مشتركٍ، يُمكن لها أن تستمر لمُدّةٍ أطول من الزمن".

يتمثّل ثالثُ الأبعاد في نمط هدف العملية العسكرية، وقد قاموا هنا بتحديد صنفين وهما: "الجماعة الإرهابية والدولة، يُمكن للجماعات الإرهابية غير الدولاتية أن تتواجد في العديد من البلدان مع مستوى رابطٍ منخفضٍ من التنسيق بينها، فلنفترض بأنّ الولايات المتحدة سوف تقوم بسلسلة من الهجمات المنفصلة هي أهدافٌ إرهابيةٌ في حالة ما إذا كان خصمها هنا عبارةً عن دولة، فسنفترض بأنّ الولايات المتحدة تأخذ بعين الاعتبار عدداً من الخيارات المتنوعة تتراوح ما بين هجوماتٍ منفصلةٍ على أهدافٍ عديدةٍ محدّدةٍ بعينها ويصل ذلك إلى حدّ اجتياح واحتلال البلد بأكمله".¹⁶

وحثّ نشر هذه الصياغة النظرية بشكلٍ عمليّ سنرجع إلى التاريخ قليلاً، ربّما يُعتبر الهجوم "الإسرائيلي" على مصر وسوريا يوم ٠٥ جوان ١٩٦٧ أحد أحسن الأمثلة عن الحرب الاستباقية، فالأشهر التي أدّت بالمجلس الإسرائيلي لاتخاذ قرار يوم ٠٣ جوان بالذهاب إلى الحرب، قد اتّسمت بتصعيدٍ توترٍ بين "إسرائيل" والجيران العرب. ورداً على ما اعتبرته "إسرائيل" سلسلةً من الهجمات الإرهابية عبر الحدود، فقد شنتّ "القوات الإسرائيلية" توغلاً قصيراً نحو الأردن شهر نوفمبر سنة ١٩٦٦. في شهر أبريل ١٩٦٧، قاد القصفُ السوري "لشمال إسرائيل" إلى معركةٍ جويّةٍ قصيرةٍ ولكنها حادّة، والتي حققت فيها الطائرات "الإسرائيلية" هزيمةً مُدلّةً لنظيراتها السورية. في شهر ماي من نفس السنة، اتّخذَ الرئيس المصري جمال عبد

¹⁶ – Joe Barnes and Others, Op Cit, P: 07-08.

الناصر سلسلةً من الخطوات -طالب بشكل ملحوظ بإزالة قوات حفظ السلام التابعة لهيئة الأمم المتحدة من أغلب أراضي سيناء وبالقرب من مضيق تيران- وهذا ما أدى إلى تصاعد التوتر. زاد خطاب عبد الناصر من تأزم الوضع، فقد صرح يوم ٢٨ ماي: "بأننا نخطط لفتح اعتداءٍ عامٍ على 'إسرائيل'، هذا ما سيكون بمثابة حربٍ شاملةٍ هدفها الأساسي هو تدمير 'إسرائيل'". حرّكت كلٌّ من مصر وسوريا قوايتهما لتموضع في سيناء ومرتفعات الجولان. في ٣٠ ماي، زار الملك حسين القاهرة، ووحد بلاده عسكرياً مع كلٍّ من مصر وسوريا، هذا ما يحمل مشهداً لحربٍ ذي ثلاث جهاتٍ على "إسرائيل". لذلك، فإنّ الهجوم "الإسرائيلي" يوم ٥ جوان هو بمثابة حربٍ استباقيةٍ. في تلك اللحظة، لم تكن ولا دولةٌ عربيةٌ واحدةٌ أساسيةٌ قد اتخذت قرار التصعيد العدواني الكلي، في الوقت الذي آمن فيه "صناع القرار الإسرائيليون" بأنّ "الحرب الإسرائيلية" مع الجيران العرب أمرٌ حتميٌّ لا مفرّ منه، ولم يكن يدري كلّهم بأنّها صارت وشيكاً. لقد حملت حربُ الأيام الستة هذه، خصائصاً من الحرب الاستباقية والوقائية معاً^{١٧}. وإذا كان المثال الأول مثالا جيّداً عن الحرب الاستباقية، فإنّ هناك مثلاً آخر أكثر قرباً لمفهوم الحرب الوقائية، وهو ذلك المتعلّق "بالضربة الإسرائيلية" لمفاعل أوسيراك العراقي يوم ٠٧ جوان ١٩٨١، إذ أرسلت "إسرائيل" طائراتٍ مقاتلةٍ عبر المملكة السعودية والمجال الجويّ العراقي لضرب المفاعل العراقي غير المكتمل بعد في شمال بغداد، فخوفاً من إمكانية أن يُستخدم المفاعل لإيجاد البلوتونيوم لأجل برنامج سلاح نووي عراقي، فقد اختارت حكومة مناحيم بيغين ضرب المفاعل قبل أن يدخل حيّز العمل. لقد مثّلت الضربة "الإسرائيلية" لمفاعل أوسيراك مثلاً واضحاً عن الضربة الوقائية^{١٨}.

نطرح في النهاية سؤالاً يتعلّق بالتدخلات العسكرية التي تشهّنها تركيا في الآونة الأخيرة ما وراء حدودها الجنوبية في الشمال السوري والعراقي على حدّ سواء، هل تُعتبرُ تدخلاتٍ تحت مظلة التدخلات العسكرية الإنسانية، التدخلات الاستباقية أم التدخلات الوقائية؟ سنُجيب عن هذه التساؤلات بعد أن نُوضح السياق النظري ونمط الحرب التي تخوضها تركيا في هذا الصدد، وهو ما يُسميه خبراء الحرب بنمط الحروب اللاتماثلية أو حروب الجيل الرابع.

¹⁷- Joe Barnes and Others, Op Cit, P: 13.

¹⁸- Ibid, 14-15.

٢- الحروب اللاتماثلية: حروب الجيل الرابع:

في سنة ١٩٨٩، طرح كلٌّ من وليام ليند^{١٩} وزملاؤه (William Lind, Nightengale, Schmitt, Sutton and Wilson) فكرةً نظريّةً قائلةً بإمكانية تقسيم الحرب إلى أجيالٍ بغاية فهم شكلها الحالي، منذ ذلك الحين، صار مُصطلح حروب الجيل الرابع مصطلحًا شعبيًا شهيرًا مستخدمًا من طرف الجيش، الكتاب والمفكرين لوصف الوجه المتغيّر للحرب.^{٢٠} يُحاجج هؤلاء بأنّ النزاع المُسلّح - الحرب - قد تطوّر عبر ثلاث مراحل منذ فجر نظام الدولة - الأمة في منتصف سنوات الـ ١٦٠٠ م، "ويبدو بأننا على مشارف مرحلةٍ رابعةٍ للحرب" كما خلصت الورقة. حسب هؤلاء: "كان الجيل الأوّل للحرب هو جيل مرحلة البندقية التقليدية (The Smoothbore Musket)، حينما استخدمت الجيوش تكتيكات الخطف والعمود لتحصيل الاستفادة القصوى من النطاق الذي تُغطيه هذه البندقية ونيرانها. وقد كان كلاوزفيتز^{٢١} من أوائل الواصفين لهذا الجيل من الحروب. لكن، مع زمن الحرب الأهلية الأمريكية، اكتسبت قوة النيران اليد العليا، فقد هيمنت أسلحةٌ جديدةٌ على ساحة المعارك، على غرار البندقيات القاذفة، البنادق الآلية والمدفعية غير المباشرة طويلة المدى، والأسلاك الشائكة وغيرها، كانت التكتيكات لا تزال خطيّة، رغم ذلك، بقي لقوة النيران الأكبر في تدمير أيّ وحدةٍ عدو. لقد حاولت الجيوش الفوز بالمعارك من خلال قصف خنادق العدو وجعلها ضعيفةً مع سلاح المدفعية (معركة السوم "Somme" التي بدأت يوم ٠١ يوليو ١٩١٦ واستمرت أسبوعًا كاملًا وكلفت حوالي مليون طلقة)، ثمّ القيام بهجمات يقودها المشاة. حاول الجيل الثالث من الحروب التخفيف من هذه القوة النارية وذلك عبر تفاديها، فحاجزٌ قصيرٌ يُحافظ على رأس المدافعين منخفضًا، قد يكون مفيدًا للجنود، يتبع ذلك تحركٌ عاصفٌ سريعٌ للجنود الذين بإمكانهم كسر خطّ دفاع الخنادق. ورغم أنّ هذه التكتيكات حققت نجاحًا محدودًا في الحرب العالمية الأولى حينما استخدم الألمان الدبابات جنبًا إلى جنب مع الدعم الجويّ للطائرات ووسائل اتصالٍ لاسلكيةٍ مع بداية الحرب العالمية الثانية، فقد كانت النتيجة هي خطّة الحرب الخاطفة ((Blitzkrieg، فأثناء أسبوعٍ أو أسبوعين من شهر مايو ١٩٤٠، دمرت الحربُ الخاطفةُ التي شهّها الألمان، القدرات القتالية لكلٍّ من الجيشين الفرنسي والبريطاني على حدٍ سواء، وهي مهمّة لم يتمكن الطرفان من إنجازها خلال أربع سنواتٍ كاملةٍ من المعارك المرعبة في جيلٍ سبق.^{٢٢}

^{١٩} وليام ستورغيس ليند، ضابطٌ عسكريٌّ أمريكيٌّ سابق، ومدير مركز النزعة المحافظة الثقافية بمؤسسة الكونغرس الحرة، وهو صاحبُ كتاب: "حرب المناورة الخاطفة"، "مسألة الإصلاح العسكري"، "حرب جورج بوش الابن على الإزهاب: إستراتيجية خاطئة وتكتيكات سيئة" وغيرها من الكتب العسكرية.

^{٢٠} Ghanshyam Singh Katoch, **Fourth Generation War: Paradigm For Change**, Naval Postgraduate School Monterey, California, June 2005? USA, p: 33.

<http://www.dtic.mil/dtic/tr/fulltext/u2/a435502.pdf>

^{٢١} كارل فون كلاوزفيتز، أشهر جنيرالٍ واستراتيجيٍّ عسكريٍّ بروسيٍّ ألمانيٍّ في العالم بأسره، ولد سنة ١٧٨٠ وتوفي سنة ١٨٣١، اشتهر بنظرياته الحربية وبيتابه: "عن الحرب"، وهو أحد الأباء المؤسسين للاستراتيجية كعلم.

^{٢٢} Chet Richards, Adams and Partners, Op Cit, p: 01-02.

ربما يُلاحظُ القراءُ الحذرونَ بأنَّ حروبَ الجيلِ الأولِ، الثاني والثالث قد مثلت بشكلٍ متزايدٍ أساليبًا مُعدَّةً لجيوشِ الدولِ في قتالِ جيوشِ دولٍ أخرى، هذه التغيّرات حينما نمرّ إلى حروبِ الجيلِ الرابع يكون الخصوم فيها شيئًا آخر. هذا الشكل من الحروب ليس شكلاً جديدًا بحدّ ذاته، فقد كان منذ وجود المقاتلين غير النظاميين الذين لا يعتبرون أعضاءً في جيش الدولة -مقاتلو عصابات- منذ فجر التاريخ، لكن إلى غاية الحرب العالمية الأولى كان مُقاتلو العصابات عادةً مُلحقًا مُساعدًا لجيوشِ الجيلِ الأول والثاني والثالث، أو كانوا متمردين يعملون ضدّ الدولة الواحدة وداخلها بشكلٍ واسع. مع ماو تسي-تونغ^{٢٣} واستمرارا إلى الزمن الحاضر، صار التمرد وغيره من أشكال الحروب غير الدولانية أكثر قوةً وأكثر خطورةً بكثير، على الأقل لسببين إثنيين:

- ✓ جماعاتٌ أخرى غير الدولة -أي المنظمات متعدّدة الجنسيات المُتراوحة ما بين القاعدة وكرتيلات الاتّجار بالمخدّرات- بدأت تكتسبُ مستوياتٍ عاليةٍ من التعقيد في التنظيم، وتكنولوجيا المعلومات التي تسمح لها بالتخطيط وتنفيذ عملياتٍ متفرقةٍ على نطاقٍ واسع.
- ✓ صارت نفس المجموعات بشكلٍ متزايدٍ لها وسيلةٌ تمويليةٌ تُمكنها من تحصيلِ أيّ نوعٍ من أنواع الأسلحة التي تحتاجها لإنجاز عملياتها. الاستثناء الوحيد هو الأسلحة التقليدية على غرار الدبّابات، الطائرات المقاتلة، السفن الحربية المقاتلة والتي تتطلّب تسهيلاتٍ واسعةٍ لدعهم، لكن هي في المقامِ الأوّل للاستخدام فقط ضدّ قوآتٍ عسكريةٍ مُسلّحةٍ أخرى لها نفسُ نمطِ الأسلحة.^{٢٤}

لهذه الأسباب ميّز خبراءُ الحرب نمطًا جديدًا أو جيلًا من الحروب سمّوه بالجيل الرابع للحروب. فقد لعبت البيئة الدولية لما بعد الحرب الباردة بمفرزاتها الدور الأهم في ظهور هذا "النمط الحداثي من الحروب"، إذ تنامت البيئة المعلومة بشكلٍ كبيرٍ من حيث قوّتها ومجالها منذ ذلك الحين، إذ غيّرت كلُّ من الاتصالات الشبكية عبر الكمبيوتر، الشبكة العنكبوتية الإنترنت، تنامي التجارة الدولية والجريمة العابرة للحدود الوطنية من أساسيات بيئة الحرب. تضمّنت التغيّرات تراجعاً في سيادة الدولة-الأمة، أو من السلطة التي تمارسها على رعايتها أو الولاء التي تطلبه منهم، هذا ما أدّى بالولاءات الاجتماعية تنتقل إلى الأديان، الإثنيات والعشائر، مستقلةً عن حدود الدولة. ترافق مع هذه التحوّلات، ظاهرة العُمران المتزايد وتنامي قلة الموارد. لقد أثّرت التغيّرات التي طرأت على البيئة على كلّ غايات الإنسان، بما فيها أساليبنا في صناعة الحرب. لذلك، تُعدُّ حروب الجيل الرابع تطوّرًا عن الحرب في تناغمٍ مع التطوّر الحاصل في البيئة، إنّها مختلفةٌ عن التمردات وحروب العصابات السابقة، لأنّ البيئة التي تتواجد فيها حروب الجيل الرابع لم تكن متواجدةً من قبلُ بالأساس.^{٢٥} فحرب الجيل الرابع هي: "حربٌ غيرٌ تقليدية، والتي يمكن أن تُسمّى "شكلاً متطوّرًا للتمرد"، وهي الطرحُ النقيض للمفهوم التقليدي للحرب"،^{٢٦} إنّها: "شكلٌ من أشكال الحرب التي تسمح أدواتها للكيان الضعيف بشنّ حربٍ على كيانٍ أقوى وبدرجةٍ عاليةٍ من

^{٢٣} ماو تسي تونغ، مؤسسُ الجمهورية الشعبية الصينية، اشتهر بنظريته الشيوعية في الحكم.

^{٢٤} - Ibid.

^{٢٥} - Ghanshyam Singh Katoch, Op Cit, p: 32-33.

^{٢٦} - Ghanshyam Singh Katoch, Op Cit, p: 21.

النجاح... عبر استخدام إستراتيجيات وتكتيكات غير تقليدية لمهاجمة مكن ضُعب القوَّات العسكرية التقليدية²⁷. لا وجود في حروب الجيل الرابع تمييزٌ بين الحرب والسلم، فهي مسألةٌ غيرُ واضحةٍ إلى حدِّ تلاشي هذا التمييز. في هذه الحروب، لا توجدُ ساحاتُ معاركٍ أو جبهاتٌ واضحةُ المعالم ومُعرَّفة. كما أنَّ التمييز بين "المدني" و"العسكري" يؤوُلُ إلى زوال. في هذه الحرب يمكن للثقافات أن تكون أيضاً محلاً للنزاع، تلجأ هذه الحرب إلى استخدام خليطٍ من المعاني السياسية، الاجتماعية، الاقتصادية والعسكرية لأجل إلحاق الهزيمة بالعدو، ومن الممكن أن يتم تبنيها وتنفيذها من طرف الدول والمنظمات العابرة للقوميات أو المنظمات ما تحت الدولة والمنظمات غير الدولانية، والتي تبرزُ كأحد طرفي الحرب في مواجهة طرفٍ آخر متمثلاً بالدولة وجيشها النظامي، قد يعود ذلك إلى حقبة ما قبل الجيل الأول، حينما لم يستقر بعد احتكار الدول للحروب، لكن هناك اختلافٌ كبيرٌ بين حروب ذلك الجيل والجيل الرابع من الحروب، إذ تعتمد الأخيرة على الجوانب الغير تقليدية لحروب العصابات الثورية والإرهاب ذي الطراز القديم وتقوم بتحويلها عبر استخدام -مخرجات- الحداثة، وهنا يكمن الفرق، يُضفي ذلك لأتباعها قدرةً أفضل للتواصل ونشر التعليمات، الأفكار والرؤى الخاصة بهم، مع المقاربات التقليدية للمساعي العسكرية، فأدواتُ التواصل والاتصال تُتيح القدرة على التشتت الواسع والتوظيف في خلايا. في الحقيقة، وخلافاً لكلِّ أجيال الحروب، فإنَّ حروب الجيل الرابع تُبدي تشتتاً أعظم، إنخفاضاً في الإعتماد على اللوجستيات المتمركزة، لا أهدافاً شاملةً، وشكلاً أعلى من المناورة. يدلُّ سلوك حروب الجيل الرابع على عدم وجود فترة تمايزٍ بين الحرب والسلم، لا وجود لجبهات قتال ولا وجود لتمايزٍ بين المدني والعسكري. هذا ما يجعلها مختلفةً جداً عن الأجيال السابقة وغريبة عن الجيوش التقليدية. فهناك تدخلاتٌ تكتيكيةٌ قصيرةٌ وصغيرةٌ ولا وجود لمعاركٍ، رغم أنَّ الحرب في حدِّ ذاتها يمكن أن تطول²⁸. باختصار، فإنَّ حروب الجيل الرابع، تهدف لتحقيق النصر عن طريق إتباع:

- ✓ تقليل قوة العدو من خلال حيلٍ بسيطةٍ تمكِّهم من تجنُّب قوَّة العدو ومهاجمة مكامن ضُعبه الغير عسكرية بغرض استهداف إرادته في القتال.
- ✓ استخدام أسلحةٍ وتقنياتٍ لا تماثليةٍ تختلف بشكل كبير عن تلك التي تحوزها ترسانة الخصم وعقيدته.
- ✓ تستفيد حروب الجيل الرابع من العوامل التالية والتي تعدُّ نتيجةً للتغيُّرات الطارئة في البيئة السياسية والاقتصادية العالمية:

- العولمة عبر الاندماج التكنولوجي، التجارة والهجرة.
- تنامي تَميُّع سيادة الدولة- الأمة، وما يرتبط بها من احتكار للعنف.
- صعود النزعات الثقافية، الإثنية والدينية²⁹.

²⁷- Ghanshyam Singh Katoch, Op Cit, p: 33

²⁸- Ghanshyam Singh Katoch, Op Cit, p: 21.

²⁹- Ghanshyam Singh Katoch, Op Cit, p: 34.

طبيعة عمل تنظيمات الجيل الرابع من الحروب وخصائصها:

بما أنّ جماعات حروب الجيل الرابع غيرُ قادرةٍ على نشر كمياتٍ كبيرةٍ من المستلزمات العسكرية الكبيرة، فإنّها لن تحاول أبداً أن تُحقّق النصر عبر هزيمة القوات المُسلّحة لدولة ما في المعارك الثابتة، في حين سوف تُحاول إقناع الدولة الخصم بأنّ الأمر من البساطة ولا يستحقّ العناء أن تُواصل القتال. يمكن أن نعتبر الحملات الأولى الناجحة من الجيل الرابع للحروب في القرن العشرين، تلك الحملات الثورية التي خاضها الجزائريون ضدّ الفرنسيين (أثناء حرب التحرير الجزائرية)، حرب الولايات المتحدة في فيتنام، والاتحاد السوفياتي في أفغانستان، أين لم يهزم الثوار أبداً الجيوش الأجنبية في أيّ معركةٍ أساسيةٍ، إلّا أنّهم تمكّنوا في النهاية -عبر ثوراتهم الممتالية- من إقناع الحكومات بسحب قواتها بدلاً من إلحاق الهزيمة بها على أرض المعركة لهو هدفٌ في حدّ ذاته تعريضها للاستنزاف. إنّ إقناع الحكومات بسحب قواتها بدلاً من إلحاق الهزيمة بها على أرض المعركة لهو هدفٌ في حدّ ذاته في "عصر المعلومات". لتحقيق المستوى الضروري للإقناع، فإنّ الممارسون لحروب الجيل الرابع سوف يستخدمون كلّ الأدوات المعلوماتية التي يستطيعون استخدامها حتى يُبلّغوا رسائلهم للشعب العدو وصنّاع قراره. مع دخولنا للقرن الحادي والعشرين، صارت تنظيمات الجيل الرابع للحروب منظماتٍ ماهرة في نشر هكذا رسائل عبر القنوات الإخبارية على غرار قناة CNN وقناة الجزيرة، وبالطبع عبر المواقع الإلكترونية، المدونات والمراسلات الشاملة. ما قد نكون على غير دراية به هو أنّ هذه التنظيمات تستعمل أيضاً الأدوات المعلوماتية الأخيرة للتواصل مع بعضها البعض ولتقاسم المعلومات، خصوصاً بخصوص ما يصلح للعمل وما لا يصلح (أو ما يُسمّيه الجيش بالدروس المستفادة). يمكن أن يتم تبادل رسائلٍ مُشفّرةٍ أو استخدام جُملي مُشفّرةٍ في التواصل أو حتى صورٍ مخفيةٍ في الشبكة العنكبوتية، أو ما يُسمّيه العارفون بها ب (Steganography) أو "إخفاء المعلومات"، كما هو الحال مع العديد من تقنيات عصر المعلومات، إرشادات التشفير وإخفاء المعلومات التي تطفو في كلّ أرجاء الإنترنت. تحتل حرب المعلومات المعاصرة مكانةً مهمّةً في الإبداع والاختراع والذي يُعوّض ما لا تمتلكه منظمات الجيل الرابع للحروب من إمكانياتٍ حربيةٍ كالقوات الشاملة، المستلزمات العسكرية الثقيلة والثمينة. بالتشديد على السرعة والاختراع، فإنّ جماعات الجيل الرابع للحروب بمقدورها عادةً ابتكار تقنياتٍ جديدةٍ أسرع ممّا تميّز به أكثرُ التنظيمات بنويةً وبيروقراطيةً على غرار البنتاغون.³⁰

لجماعات حروب الجيل الرابع جملةٌ من الأفضليات رغم كونها طرفاً ضعيفاً يواجه آخر أكثر قوّةً منه، فهي شبكاتٌ تتمتع بمرونةٍ عاليةٍ، وبالتالي فإنّ اغتيال قادتها وتدمير أجزاء من الشبكة بإمكانه أن يسمح للبقية بأن تُبعث من جديد تحت قيادةٍ جديدةٍ في مواقعٍ مختلفة، وبالتالي فلطالما يكفي بقاء الشبكة على قيد الحياة وعلى وتيرة الإيديولوجيا والثقافة ذاتها التي تُحارب لأجلها جنباً إلى جنب مع الدروس المستفادة، فإنّه من المرجّح أن تكون الشبكة الجديدة أكثر خطورةً وأكثر مرونةً من سابقتها. بالإضافة إلى ذلك، فإنّ جماعات الجيل الرابع للحروب تتميّز بطبيعتها العابرة للقوميات، فعملية ما، يمكن أن تُؤخّذ الموافقة عليها في أفغانستان، يُخطّط لها في ألمانيا، تُموّل في "الشرق الأوسط" وتُنقذ في الولايات المتحدة، مثلما حدث مع هجمات الحادي عشر من سبتمبر، فلا تُوجد دولةٌ يمكن الانتقام منها في هذه الحالة ولا جنسيةً واحدةً

³⁰- Chet Richards, Adams and Partners, Op Cit, p: 02- 03.

يمكن إلقاء اللوم عليها. من ميزات عملها أيضا، استخدامها للتمويه، الاختباء وغيرها من أدوات النزاع، فلأن خصمها قوي عسكريًا، فإنّ بقاء جماعات حروب الجيل الرابع لن يكون عبر مواجهة القوة النارية للدول، لاسيما القوى الكبرى ولكن عبر البقاء وبعيدا عن مرماها.³¹

يتحدّث اليوم خبراء الدراسات العسكرية والإستراتيجية عن جيل خامس من الحروب، يتميز بتغيّر في طبيعة الخصوم، تغيّرًا في طبيعة القوة والأهداف وتغيّرًا في طبيعة الوسائل والأدوات المستخدمة في الحرب، إذ يَستخدَمُ خصوم الدولة أدوات وأساليب حربٍ لانتماثلية، وقد يكونون مجهولُو الهوية أصلاً، ويدخل في هذا الإطار الحروب التي يشنّها الهاكرز والأنونيموس، الجيوش الإلكترونية التي يمكن أن تُعطّل اقتصادَ دولةٍ بأكملها.³² لن تحتاج دراستنا هذه لإطار نظري يُغطّي هذا النمط من الحروب، إلّا أنّه من الجدير الإشارة إلى هذا الجيل المتطوّر للحرب والذي يرسمُ لنا ملامحًا أوليّةً عن الحرب التي ستعرفها البشرية في المستقبل المنظور.

³¹- Chet Richards, Adams and Partners, Op Cit, p: 04.

³²- Donald J. Reed, **Beyond the War on Terror: Into the Fifth Generation of War and Conflict**, Studies in Conflict & Terrorism, 31, 2008, p: 685.

<http://www.tandfonline.com/doi/abs/10.1080/10576100802206533?journalCode=uter20>

ii. تحليل ميداني: ظروف وأسباب التدخل العسكري التركي في الجوار الإقليمي:

سيعمل هذا المحور على تحليل خلفيات التدخل العسكري التركي في الآونة الأخيرة في الشمال السوري، أسبابه، ظروفه وتوقيتته المترافق مع جملة من الديناميات الإقليمية والدولية، فضلاً عن التحولات السياسية التي تعيشها تركيا في الداخل منذ محاولة الانقلاب العسكري الفاشل شهر تموز ٢٠١٦، وذلك بعد أن يُقدّم قراءةً في الظروف الإقليمية والدولية التي أحاطت بأهمّ التدخلات العسكرية التي قامت بها تركيا في جوارها الإقليمي ما قبل حقبة العدالة والتنمية.

١- جغرافياً مضطربة.. أبرز التدخلات العسكرية التركية الإقليمية منذ نشوء الدولة:

في حقبة الحرب الباردة كانت علاقة تركيا بجوارها الإقليمي في "الشرق الأوسط" والعالم العربي علاقةً منخفضة المستوى جداً، حيث تجنّبت تركيا مثلاً التدخل في الخلافات العربية البينية، وفي النزاع "العربي-الإسرائيلي" وغيره من النزاعات الإقليمية، على غرار الحرب الإيرانية-العراقية. سعت الحكومة التركية أيضاً في تلك المرحلة وبدرجاتٍ مختلفة من النجاح، إلى المحافظة على علاقاتٍ وديةٍ إن لم تكن روابطاً سياسيةً ودبلوماسيةً جدّ مقيّمةً مع كلّ الأنظمة العربية وإيران و"إسرائيل"، الاستثناء الوحيد كان سوريا التي عرفت تركيا معها علاقات متوتّرة؛ أولاً بسبب مشكلة لواء الإسكندرون (هاتاي) منذ سنة ١٩٣٩، ثانياً، بسبب مشكلة المياه. لكن، عموماً حافظت تركيا على علاقاتٍ منخفضة مع العالم العربي وغير قائمة أصلاً على توثيق العلاقات معه، فضلاً عن التدخل في شؤونه.^{٣٣}

لقد كانت أحد التقاليد التركية المترسّخة في السياسة الخارجية للبلاد منذ نشأتها، المبدأ القائل بضرورة تجنّب التورّط في السياسات والنزاعات الإقليمية. إلّا أنّ جملةً من التطوّرات الدولية، إلى جانب التطوّرات السياسية الداخلية التي عاشتها تركيا خاصةً منذ نهاية الحرب الباردة، أجبرتها على الاهتمام أكثر بالأحداث الإقليمية، محاولةً الظهور في السياسات الدولية وتحصيل نفوذٍ وتأثيرٍ في جوارها الإقليمي "الشرق الأوسط" وأقاليم العالم التركي/المسلم المستقلة عن الاتحاد السوفياتي السابق، لقد صارت بالفعل أصلاً غير قادرة على تجنّب ما يحدث في القوقاز كنزاع ناغورنو كاراباخ، والبلقان كنزاع البوسنة-الهرسك وكوسوفو، ونزاعات "الشرق الأوسط" على غرار حرب الخليج الثانية، حين أُجبرت على اتخاذ موقفٍ إلى جانب طرفٍ ما وإتباع سياسة خارجية فعّالة ونشطة. إلّا أنّ التغيّرات الدراماتيكية الطارئة على تقاليد السياسة الخارجية التركية المتعلقة بالعزلة عن النزاعات والخلافات الإقليمية، وتزايد مشاركتها في المسائل الإقليمية في المقابل، قد وفرت لتركيا من جهة، إمكانية تحقيق وإنجاز توقعاتها الاقتصادية والسياسية، في حين جلبت عليها في الجهة الأخرى تحدياتٍ جديدةٍ ومشكلاتٍ أمنيةً مهدّدةً لسلامة أراضيها.^{٣٤} وأهمّ مصادر التهديد أو المخاطر وأكثرها جديةً هي تلك القادمة من مناطق

³³ - Sabri Sayari, **Turkey and the Middle East in the 1990s**, Journal of Palestine Studies, Vol. 26, No. 3. (Spring, 1997), p: 44-45.

³⁴ - Tareq Ismael and Mustafa Aydin, **Turkey's Foreign Policy in the 21st century: A Changing Role in World Politics**, Ashagate Publishing Zimited, England, 2003, p: 18-19.

اللااستقرار السياسي والأمني في "الشرق الأوسط"، التي فرضت على تركيا أن تتعامل معها بشكلٍ مخالفٍ عن التقليد السائد في سياستها الخارجية، وكان للظروف الداخلية والخارجية التي عايشتها تركيا منذ نهاية الحرب الباردة أثرٌ بارزٌ في إحداث تغييرٍ في المقاربة التركية تجاه منطقة "الشرق الأوسط"، فقد رأى صنّاع القرار الأتراك أنه لا يليقُ لبلادهم بما تمتلكه من خصائصٍ متميزةٍ أن تؤدي دوراً هامشياً على المستويين الإقليمي والدولي على حدٍ سواء، أو أن تترك بيئتها الإقليمية والدولية تتحكّم في مصيرها وتوجّهها، بل جدير بتركيا أن تقوم بدورِ القوّة الإقليمية المؤثرة^{٣٥} والمُشكّلة لجوارها الإقليمي، لا سيما مناطق اللااستقرار والاضطراب الدولي في "الشرق الأوسط".

لو حدّدنا هنا أهمّ المحاولات العسكرية في سعي تركيا لتشكيل جوارها الإقليمي هذا، فس نجد أربع قضايا مركزية برزت عبر تاريخ الجمهورية وهي: التدخل العسكري في جزيرة قبرص الشمالية، التدخل العسكري شمال العراق، الدور المهم إلى جانب الناتو أثناء تدخله في ليبيا، وأخيراً التدخل العسكري شمال سوريا في الآونة الأخيرة والذي سنفرده له عنصراً منفصلاً لاحقاً.

أ. المسألة القبرصية:

قبرص جزيرةٌ جنوب تركيا تبعدُ عن سواحلها بنحو ٧٥ كم، أغلبية سكانها يونانيون يُمثّلون ما بين ٧٠ إلى ٧٥% بحسب إحصاءاتٍ متباينة، يقطنون جنوبي الجزيرة، أما شمالها فيقطنه القبارصة الأتراك، ويمثّلون نحو ٢٠ إلى ٢٥% من سكان الجزيرة، تعترف تركيا وحدها اليوم بقبرص الشمالية كدولةٍ مستقلة، في حين تحظى قبرص الجنوبية باعترافٍ دوليٍّ في هيئة الأمم المتحدة كدولةٍ مستقلة. عرفت الجزيرة أزمتهنّ حادتين سنتي ١٩٦٣ و١٩٧٤، كانت تركيا فيهما طرفاً أساسياً هدف إلى حماية الأقلية التركية من اضطهاد الأغلبية اليونانية لها بتواطؤٍ خارجيٍّ^{٣٦} ففي سنة ١٩٦٣ دعم الأتراك استقلال قبرص الشمالية واعترفوا بها باعتبارها دولةً مستقلة. وقد جاء الاعتراف التركي في فترة عاشت فيها تركيا استقطاباً دولياً بين الشرق والغرب أيام الحرب الباردة، وأرادت بالتالي أن تستفيد من اللعب على هذا التوازن الدولي والفوز بمكاسبٍ إقليميةٍ لصالحها، وقد تسبّب السلوك التركي في توتر علاقات تركيا مع الغرب، في مقابل حدوث تقاربٍ تركيٍّ سوفياتيٍّ. يشرّح كلٌّ من الأستاذين أولمان وديكيجيان ((Ulman and Deknejian) الموقف التركي في هذه المسألة ويرجعانه إلى ثلاثة عوامل:

✓ أولاً، شعر الأتراك أنّ توقيع التقارب التركي-السوفياتي من شأنه أن يُحدث ضغطاً على الولايات المتحدة والناتو لجعل اليونانيين والقبارصة اليونان يقبلون الحلّ الذي تُفضّله تركيا.

^{٣٥} لكن، أثار النفوذ التدريجي المتسع لتركيا في النصف الثاني من عقد التسعينيات الموجة الأولى لنقاشاتٍ أكاديميةٍ حول مسألة صعود تركيا باعتبارها "قوةً إقليميةً" أم "مُهيمنةً إقليميةً" أم "قوةً هيمنةً"؟ ولم يكن قد مضى حينها عقدٌ على إعادة تركيا النظر في موقفها الإقليمي من "مُنفذ سياسةٍ" إلى "مُنْتِج سياسةٍ"، ومن "مُستقبلٍ للأمن" إلى "مُوقِفٍ للأمن". الأمر الذي أثار نقاشاتٍ تدعو أنقرة إلى أن تكونَ فهماً جديداً لذاتها وأن تتخلّى عن أسلوب الدبلوماسية المتخصصة، وتُفكّل من السياسات الثابتة والفردية المرتكزة على تعاونها الاستثنائي مع واشنطن، وأن تُطوّر بدلاً من ذلك مقاربةً شاملةً جديدةً تُجاه كلّ البلدان المجاورة... أنظر:

See, Buğra and Others, Change and Adaptations in Turkish Foreign Policy, Seta Publications, First Published 2014, Ankara-Turkey, p: 59-60.

^{٣٦} معرفة المزيد عن المسألة القبرصية أنظر لمقالات البروفيسور التركي مصطفى آيدن التفصيلية عنها:

<http://www.mustafaaydin.gen.tr/search>

✓ ثانياً، ساعد ذلك في ربح تركيا للدعم السوفياتي الإيجابي لموقفها في قبرص، ومن ثمّ دعم الكتلة الشيوعية في هيئة الأمم المتحدة.

✓ أخيراً، صار بإمكان الأتراك على الأقل استثناء موقف السوفيات الحيادي، ومن ثمّ تجاهل دعم موقف اليونان. فنظراً لعزلة تركيا على الساحة الدولية وفقدانها للدعم الغربي أثناء الأزمة، كان تأمين موقف السوفيات إلى جانب تركيا في هذه المسألة هو الحلّ الأكثر ملائمةً لكسر هذه العزلة ودعم موقفها. ربّما بدأ ذلك كتكتيكٍ من تركيا ثم صار لاحقاً قناعةً راسخةً في سياستها الخارجية، إذ بدأت الزيارات المشتركة بين الأتراك والسوفيات بعد سنة ١٩٦٥، كما توسّعت المصالح المشتركة المتبادلة بينهما، وتزايدت نسبة العلاقات التجارية وبدأ برنامج المساعدات السوفياتية لتركيا.^{٣٧}

تكرّرت الأزمة القبرصية سنة ١٩٧٤ بشكلٍ أكثر حدّة، مُختبرةً مجدّداً الالتزامات والمسؤوليات المتبادلة بين الولايات المتحدة وتركيا. ففي شهر حزيران/يونيو اجتاحت تركيا الجزيرة لحماية الأقلية التركية من "الجمهورية القبرصية الهيلينية"، التي ارتكبت إرهاباً دولياً في حقّها بعد انقلابٍ عسكريٍ دكتاتوريٍّ في أثينا أعلن اتّحاد الجزيرة باليونان. كان هناك هجومٌ تركيٌّ ثابٍ شهر آب/أغسطس من السنة ذاتها، هدف إلى تعزيز المكانة التركية هناك، الأمر الذي سرّع حظر الكونغرس الأمريكي انتقال المُعدّات العسكرية إلى تركيا يوم ٥ شباط/فبراير ١٩٧٥ (انتهى صيف ١٩٧٨)، وترتّب عليه في المقابل إلغاء أنقرة للعمليات العسكرية الأمريكية انطلاقاً من القواعد العسكرية الموجودة على الأراضي التركية يوم ٢٦ حزيران/يونيو ١٩٧٥.^{٣٨}

رغم هذا التوتّر الكبير في علاقات تركيا الإستراتيجية مع الغرب والولايات المتحدة، إلّا أنّ صنّاع القرار الأتراك كانوا يُدركون بأنّ تدخلهم العسكري في قبرص سوف يفتح لهم أفقاً جديدةً مع الكتلة الشرقية والاتحاد السوفياتي الذي شكّل عبر التاريخ لهم مصدرًا دائماً للتهديد، وهذا ما حدث بالفعل، فقد تسبّبت الأزمة القبرصية الثانية في إحداث تقاربٍ تركي-سوفياتيٍّ من جديد سنوات السبعينيات، صاحب هذا التقاربُ تقارباً تركياً مع دول عدم الانحياز، لاسيما دول الشرق الأوسط، وتحسيناً للعلاقات بين الطرفين. ورغم عوامل عديدة على غرار الانتماءات الثقافية والجغرافية والدينية، فإنّ فكرة كون تركيا - لأسباب إستراتيجية وسياسية- يجب أن تكون بمنزلة الجسر الرابط بين الشرق والغرب، وكذا اغتنام الفرص التجارية في الأسواق الجديدة للبلاد العربية، كانت فكرةً لها تأثيرٌ لا شكّ فيه على هذا التحوّل الذي عرفته السياسة الخارجية التركية،^{٣٩} وكان ذلك كلّه في حسابات صانع القرار التركي حينما قرّر ممارسة ضغطه العسكري باتجاه السيطرة العسكرية على جزيرة قبرص الشمالية. خلال التسعينيات أيضاً استمرت الأزمة القبرصية تصنع جواً مُعادياً لتركيا من جهتها الغربية، فقد كان هناك تصوّرٌ متماثلٌ بين اليونان وتركيا بأنّ كلاهما يُشكّل تهديداً محتملاً مباشراً للآخر، حتّى أنّ الوساطة الأمريكية بينهما

³⁷- Mustafa Aydin, *Determinants of Turkish Foreign Policy: Changing Patterns and Conjunctures During the Cold War*, Middle Eastern Studies, Vol. 36, No: 1, Jan, 200, p: 124.

<http://www.sbu.yildiz.edu.tr/~faksu/Fuatyayinlar/TDPIldocs/determinantstdp.pdf>

³⁸- Vojtech Mastny and R. Craig, *Turkey Between East and West: New Challenges For a Rising Power*, Nation Westviueur Press, First Puplished, 1996, USA, p: 58.

³⁹- Mustafa Aydin, *Determinants of Turkish Foreign Policy: Changing Patterns and Conjunctures During the Cold War*, Op cit, p: 125.

ووجهت بانتقاداتٍ حادة من البلدين. إلا أنّ التدخّل الأمريكي في أزمة إيميا كارداك^{٤١} (Imia Kardak) سنة ١٩٩٤، نجح في تجنّب نزاعٍ مسلحٍ بين تركيا واليونان، كما حدث تقاربٌ بين البلدين وانخفاضٌ في حدّة الخلافات بعد كارثة الزلزال الذي ضرب البلدين سنة ١٩٩٩، الأمر الذي رحّبت به أمريكا طبعاً.^{٤٢}

حينما جاءت حكومة حزب العدالة والتنمية للحكم، كانت خلافاً لسابقتها، غير مهتمة كثيراً بمسألة قبرص، أصلاً كانت العداوة بين تركيا واليونان قد تضاءلت، ولم ترَ في مشكلة قبرص إلا عائقاً أمامها نحو الانضمام إلى الاتحاد الأوروبي. لذلك، كان على الحزب الحاكم أن يحاول حلّ المشكلة القبرصية شهر كانون الأول/ديسمبر ٢٠٠٢ مع القمة الأوروبية. كان القرار الإستراتيجي للحكومة من المسألة أنه لا ينبغي أن يُمسك الجانب التركي أبداً على أنه الجانب المُعيق لمفاوضات السلام. لم تكن انتهازيةً سياسيةً منه، بقدر ما كان الأمر متعلقاً بتغييرٍ كليّ في مقاربة الحكومة الجديدة تجاه النزاع، وقد نال الأمر رضى الكماليين ما دام هذا التحرك التكتيكي يهدف في النهاية إلى إزالة عائقٍ كبيرٍ يقف في وجه عضوية تركيا في الاتحاد الأوروبي.^{٤٢}

ختاماً، يتضح لنا هنا أنّ سلوك التدخّل العسكري التركي في شمال جزيرة قبرص، تحكّمت به أساساً ظروفٌ بيئيةٌ دوليةٌ معينةٌ قائمةٌ على التنافس الشديد بين معسكرين متضاربين، وبالتالي كانت الحسابات التركية مرتكزةً على محاولة إيجاد طريقةٍ مناسبةٍ للاستفادة القومية من هذا التنافس، كما أنّ التدخّل العسكري التركي في قبرص لاسيما الثاني منه كان مثلاً مناسباً مجسداً لمبدأ الحرب الاستباقية، فالانقلاب العسكري الدكتاتوري في أثينا كما وصفته تركيا وما تبعه من جرائم إنسانية في حقّ العرق التركي بالجزيرة القبرصية التي أعلن العسكر اليونانيين ضمّها لهم، كان بالنسبة لتركيا بمثابة المؤشر الصريح بأنّ الخطوة القادمة لهذا الجيش ستكون طرد آخر تركي من الجزيرة وإعلان الهيمنة اليونانية الكلية لها وبالتالي حسم القضية عسكرياً من جانب واحد في غير صالح تركيا وإلى الأبد، هنا كان العدو معلوماً والتهديد صريحاً وأفاقه متنبأً بها، فكان السلوك التركي سلوكاً استباقياً للحيلولة دون استكمال هذا المصير. فكانت الحرب الاستباقية مخرجاً طبيعياً، حينما شعر صانع القرار التركي بأنّ الأمن القومي التركي صار على المحكّ.

^{٤١} وهي عبارة عن صخور بحرية في بحر إيجه، متنازع عليها بين تركيا واليونان.

^{٤٢} – Tareq Ismael and Mustafa Aydin, *Turkey's Foreign Policy in the 21st century: A Changing Role in World Politics*, Ashagate Publishing Zimited, England, 2003, p: 33.

^{٤٢} - Philip Rpbins, *Turkish foreign policy since 2002: between a 'post-Islamist' government and a Kemalist state*, International Affairs 83: 1 (2007), p: 297.

<http://www.sbu.yildiz.edu.tr/~faksu/Fuatyayinlar/TDPIldocs/24367788.pdf>

ب. المسألة العراقية:

في مرحلة ما بعد الحرب الباردة أيضًا، هيمنت المُشكلات الأمنية الإقليمية على أجندة العلاقات التركية-الأمريكية، إذ أرادت الولايات المتحدة أن تؤدّي تركيا دورًا معيّنًا في صدّ النزاعات المسلّحة والعنف السياسي على حدودها في "الشرق الأوسط" والبلقان والقوقاز. فكانت جهود أنقرة في متابعة سياسة خارجية إقليمية نشطة وفعّالة، فكلّما البلدين أكّدا أهمية الإستقلال والسلام الإقليمي، وعارض السياسات التوسعية لدول إقليمية معيّنة تُهدّد بقلب الستاتيكو.⁴³ في هذا الصدد جاءت حرب الخليج الثانية سنة ١٩٩١، لتختبر الدور الجديد الذي تطلّع به تركيا في بيئة دولية جديدة ذات هيمنة أحادية.

لقد أدّت تركيا دورًا حاسمًا في إنجاح حملة الائتلاف ضدّ صدام، كما صار التعاون الاستراتيجي بين تركيا والولايات المتحدة بعد الحرب أكثر إعلانًا مع إرساء "منطقة حظر طيران" وعمليات شمالي العراق، تحت حماية قوات التحالف المرتكزة على قاعدة إنجيليك جنوبي شرقي تركيا. سُمّيت تلك العمليات المشتركة بين تركيا والولايات المتحدة "بعملية توفير الراحة"، ثمّ لاحقًا "بعملية مراقبة الشمال" بعد حرب الخليج والهادفة لحماية أكراد شمالي العراق من بطش نظام صدام، وكانت العملية قضيةً مثيرةً للجدل داخل تركيا بشكل كبير. فالمنتقدون لها حاججوا بأنّها ستُساعد على إقامة كيانٍ سياسيٍ كردي في شمال العراق لاحقًا، سيهدّد وحدة الأراضي التركية في شرقها، نظرًا لوجود جماعاتٍ كرديةٍ متمردةٍ هناك تُطالب بالاستقلال. والمؤيدون للعملية رأوا أنّها ذات أهمية إستراتيجية كبيرة،⁴⁴ لما لها من رمزية تعكس متانة العلاقات الدفاعية التركية الأمريكية سنوات التسعينيات، وتمنح تركيا أدواتٍ قيّمةً للتأثير على السياسة الأمريكية. فمثلًا تُصنّف الولايات المتحدة إلى الآن حزب العمال الكردستاني على أنّه منظمة إرهابية، كما أنّها تُدعم وحدة أراضي تركيا ضدّ المتمردين الأكراد، وتؤيّد حرب تركيا ضدّهم، وكذا اعتقالها لزعيمهم عبد الله أوجلان. كما أنّها تؤيّد التوغلات الدورية التركية في شمالي العراق لمطاردة المتمردين المسلحين الأكراد ومحاربتهم. رغم ذلك، فقد أيّدت الولايات المتحدة صعود كيانٍ سياسيٍ لهم هناك، في حين كانت لتركيا مخاوف من نزعة الأكراد الاستقلالية في شمالي العراق، ورفضت نشوء دولةٍ لهم هناك، ولما فيها من تهديد لوحدة أراضيها فقد دعت وحدة العراق.⁴⁵ وتعبيرًا عن هذه المخاوف التركية تجاه المتمردين الأكراد، كتّب السفير التركي بواشنطن السيد شكرو إلكداغ (Şükrü Elekdağ) مقالًا نُشر سنة ١٩٩٦، حاجج فيه بأنّ تركيا سوف تُواجه، من الآن

⁴³- Tareq Ismael and Mustafa Aydin, *Turkey's Foreign Policy in the 21st century: A Changing Role in World Politics*, Op cit, p: 30.

⁴⁴ بدا بأنّ الرئيس أوزيل أراد أن يغتنم الفرصة لدعم ما صار علاقات متينة مع الولايات المتحدة. إذ رأى بأنّ الأزمة مناسبةً لإثبات أهمية تركيا الاستراتيجية الإقليمية للولايات المتحدة، وهي حقيقة سرعان ما أثبتتها الأيام اللاحقة. على الصعيد التجاري، كانت أولى الفوائد الملموسة للأزمة إعلان الولايات المتحدة شهر تشرين الثاني/نوفمبر ١٩٩١، رفع حصة النسيج التركي، كما وعدت الولايات المتحدة بمناقص اقتصاديةٍ أخرى، بما في ذلك الدعم بمنح اعتماداتٍ مالية بقيمة ١,٤ مليار دولار من البنك الدولي. أمّا من الناحية العسكرية، فقد استفادت تركيا من تأمين أسلحةٍ حديثةٍ بقيمة ٨ مليارات دولار، وشملت ألف دبابةٍ و ٨٠٠ ناقلة شخصية مصفّحة، وعددًا من القذائف الصاروخية. وشملت الوعود الأمريكية أيضًا الإفراج عن ٤٠ مقاتلة فانتوم، إف-١٤ مُستعملة، مُجمّدة منذ سنة ١٩٨٤ بسبب اعتراضات اللوبي اليوناني النافذ. انظر:

فيليب روبنس، تركيا والشرق الأوسط، ترجمة: ميخائيل نجم خوري، دار قرطبة للنشر والتوثيق والأبحاث، الطبعة العربية الأولى ١٩٩٣، ليماسول- قبرص، ص: ٨٩.

⁴⁵- Tareq Ismael and Mustafa Aydin, *Turkey's Foreign Policy in the 21st century: A Changing Role in World Politics*, Op cit, p: 31-

فصاعداً، خطر "جبهتي حربٍ ونصف"، الجبهتان تتماثلان في اليونان وسوريا، أما نصف الجبهة فيتمثل في الصراع الداخلي ضدّ حزب العمال الكردستاني.^{٤٦} لقد صار المُشكل الكردي سنوات التسعينيات قضيةً أساسيةً تؤثر على علاقات تركيا بالجيران، خصوصاً مع العراق وسوريا، ومن ثمّ صارت قضيةً مؤثرةً على الأمن الإقليمي بأكمله،^{٤٧} فالتشظي الحاصل في دولة العراق منح قوة دفعٍ لتطلعات القوميين الأكراد، وحوّل أولويات أنقرة إلى المحافظة على وحدة العراق، وإعادة إرساء شيءٍ من الاستقرار على طول الحدود التركية العراقية. ومع استمرار قبضة صدام على السُلطة حاولت تركيا أن تُطبع العلاقات مع الحكومة العراقية، وعملت عبر قنواتٍ دبلوماسيةٍ لإزالة عقوبات الأمم المتحدة الاقتصادية المفروضة على العراق. وبناءً على اتفاقيةٍ مُوقَّعةٍ بين تركيا والعراق سنة ١٩٨٤، أطلقت تركيا عملياتٍ عديدةٍ شمالي العراق خلال الثمانينيات لمطاردة حزب العمال الكردستاني، والقضاء على المتمردين الانفصاليين الأكراد. وفي آذار/مارس ١٩٩٥، أرسلت أنقرة ٤٠ ألف جندي عبر حدود العراق في عمليةٍ لستّة أسابيع، هدفت فيها إلى تدمير قواعد حزب العمال الكردستاني، والبنى التحتية اللوجستية له على أراضي العراق.^{٤٨}

بعدها، شهدت تركيا صعود أعمال عنفٍ من طرف حزب العمال الكردستاني، خاضَ الحزب فيها لعقدَيْن من الزمن حرب عصاباتٍ جنوب شرقي تركيا، مُتسبباً في مقتل ٣٥ ألف تركي وكرد. وبعد القبض على زعيمه عبد الله أوجلان سنة ١٩٩٩، أعلن حزب العمال الكردستاني وقف إطلاق نارٍ أحادي الجانب، وقد توقّف العنف على إثرها مؤقتاً. إلا أنّ الجماعة باشرت أعمالها مجدداً شهر حزيران/يونيو ٢٠٠٤. ومنذ سنة ٢٠٠٦ أطلق الحزب أعمال عنفٍ على الأراضي التركية من مكان ما بجبال قنديل شمالي العراق، متسبباً في مقتل مئاتٍ من القوّات الأمنية التركية.^{٤٩} طلبت حكومة أردوغان مراراً مساعدة

⁴⁶- William Hale , Turkey, *The Middle East and Gulf Crisis*, International Affairs (Royal Institute of International Affairs 1944-),Vol. 68, No.4 (Oct., 1992) , p: 195.

^{٤٧} تبقى القضية الإثنية على غرار المسألة الكردية والانفصاليين الأكراد تُستغل من طرف جهات أجنبية، ومن الممكن أن تؤدي دوراً مهماً في تحديد مستقبل تركيا. إنه لمن الواضح أنّ احتواء المشكلة الكردية عبر سياسات داخلية ومحاولات للحيلولة دون تحولها إلى مسألة خطيرة يبقى أحد أهم انشغالات السياسة الخارجية التركية ما دامت المشكلة لا تزال قائمة. كما تعمل على منع تدخل حلفائها الغربيين في هذه المسألة، بالإضافة إلى تحقيق خطوات متقدمة فيما يخص التطوّرات الحاصلة في شمالي العراق والحيلولة دون إقامة دولة كردية هناك. انظر:

See: Tareq Ismael and Mustafa Aydin, *Turkey's Foreign Policy in the 21st century: A Changing Role in World Politics*, Op cit, p: 20-21.

⁴⁸- Sabri Sayari, *Turkey and the Middle East in the 1990s*, Journal of Palestine Studies, Vol. 26, No. 3. (Spring, 1997), p: 47.

^{٤٩} بدأت تركيا تصارع حزب العمال الكردستاني منذ منتصف الثمانينيات، فكانت التكلفة مرتفعة جداً. فبين ١٩٨٤ و١٩٩٩، توفّي نحو ٣٧ ألف شخص، فهم مدنيون وأفراد من القوّات الأمنية التركية، من جزاء هذه الحرب. التكلفة الاقتصادية أيضاً كانت مرتفعة؛ إذ أنفقت تركيا منذ منتصف الثمانينيات نحو ١٠٠ مليار دولار في حربها مع حزب العمال الكردستاني. انظر:

See: Banu Eligür, *Turkish-American Relations Since the 2003 Iraqi War: A Troubled Partnership*, Crown Center for Middle East Studies, Brandeis University, May 2006, No. 6, p: 01.

<http://studylib.net/doc/14462649/middle-east-brief-brandeis-university-crown-center>

الجيش الأمريكي لتصفية معاقلي الحزب التدريبي شمالي العراق، إلا أنّ واشنطن كانت مترددةً جدًّا حيال مباشرة عملٍ عسكري هناك، وادّعى البنتاغون أنّه من غير الممكن أن يُرسل قوّاته إلى شمالي العراق والتي من المفترض أن تخوض معاركٍ عدّة في أماكن أخرى من العراق، وأنّ التدخّل الأمريكي ضدّ حزب العمال الكردستاني من شأنه أن يُزعزع شمالي العراق، الذي يحظى باستقرارٍ نسبيٍّ أحسن من بقية مناطق العراق. حينها، أظهر استطلاع رأي أجرتّه مؤسسة بيو الشهيرة (Pew) أنّ ١٢% من الأتراك ينظرون إلى هذا الادّعاء الأمريكي على أنّه دليلٌ على ازدواجية المعايير الأمريكية، فأمريكا غزت دولتين (أفغانستان والعراق) من أجل محاربة الإرهاب، وهي الآن ترفضُ مساعدة تركيا في الموضوع ذاته المتعلّق بإرهاب حزب العمال الكردستاني.⁵⁰

إذن، فقد كان الجمهور التركي مُحقّقًا في قلقه بشأن الحرب الأمريكية على العراق، فبإمكان هذه الحرب أن تؤدّي إلى توريث تركيا في فوضى الإقليم وتؤثّر سلبًا على الاقتصاد التركي، تخوّف مسؤولون أتراك والجيش التركي أيضًا بخصوص مصير الموصل، وكركوك القريبة من الحدود التركية وتتميّز بثرائها النفطي ووجود أقلية تركمانية بها،⁵¹ وقد صارت هذه المخاوف مُجسّدةً على أرض الواقع بعد سقوط نظام صدام واحتلال الولايات المتحدة للعراق، الأمر الذي فتح صفحةً جديدةً من الصراع اللامتتهي مع حزب العمال الكردستاني المتمرد. لقد صار العراق مصدرًا كبيرًا للإرهاب الدولي، وصار يُواجه إمكانية الانهيار، كما عرف النفوذ الإيراني تزايدًا في العراق والمنطقة ككلّ بشكلٍ لم يكن أبدًا ليخضع مصالح تركيا في المنطقة، أمّا حزبُ العمال الكردستاني فقد وجد بيئةً مناسبةً له تمامًا ولأسلوبه في القتال. تقول أنا ديسمور السفيرة السويدية السابقة في تركيا بين ٢٠٠١-٢٠٠٥، إنّ أحد السياسيين الأتراك أخبرها باختصار بعد انتهاء الحرب [غير المنتهية] بين "إسرائيل" ولبنان سنة ٢٠٠٦، أنّ هذه الحرب أظهرت أنّ المنظمات الإرهابية أو المليشيات المسلّحة لا يُمكن أن تُهزم بشكلٍ كاملٍ. إنّ الجيش التركي لن يحتلّ أبدًا شمال العراق على صعيد واسع لمحاربة حزب العمال الكردستاني كما يؤكد، ومن غير المرجّح أن يتمّ تحقيق مهمّة ناجحة كليًّا، مثلما أظهر المثال "الإسرائيلي" مع حزب الله⁵²، (وهذا نموذجٌ جيّدٌ عن حروب الجيل الرابع التي أوردنا تفصيلًا نظريًا عنها في المحور السابق).

تجدّد التدخّل العسكري التركي في شمال العراق مع التغيّرات الطارئة على خارطة الجيو-عسكرية لمنطقة الشام والعراق، لاسيما بعد صعود نجم منظمة إرهابية جديدة من المتطرفين حملت اسم "الدولة الإسلامية في العراق والشام" (داعش) سنة ٢٠١٤، وقد كان "لهذه الدولة" سيطرةً على بعض مناطق العراق، بشكلٍ جعل العسكريين الأتراك مُجبرونَ على مُراعاة وجود فاعلٍ جديدٍ في حساباتهم العسكرية تجاه حدودهم مع العراق وسوريا. في شهر أكتوبر ٢٠١٦، نشرت تركيا مئآتًا من قوّاتها المسلّحة في مدينة بعشيقة العراقية، والتي تقع على مسافة ١٢ كلم شمال شرقي الموصل المُسيطر عليها من طرف تنظيم داعش. في الوقت نفسه، طالب مسؤولون عراقيون من تركيا بأن تسحب قوّاتها من أراضي العراق، فقد كانت إحدى

⁵⁰ - F. Stephen Larrabee, Turkey Rediscovered the Middle East, Foreign Affairs, ESSAY July/August 2007 Issue.

<https://www.foreignaffairs.com/articles/turkey/2007-07-01/turkey-rediscovered-middle-east>

⁵¹ - Nasuh Uslu, Turkish foreign Policy in The Post-Cold War Period, Nova Science Publisher, New York, USA, 2013, p: 95.

⁵² - Ann Dismorr, Turkey Decoded, Saqi First Published 2008, Beirut-Lebanon, p: 183.

الأسئلة المطروحة آنذاك متعلقة بمدى شرعية التدخل العسكري التركي هناك. حاجت تركيا بأن تدخلها كان نتيجةً للأعمال الإرهابية التي قام بها تنظيم داعش واحتلاله لقسمٍ أساسيٍّ شمال العراق بالموصل، فكان التدخل العسكري التركي يهدفُ لقتال هذا التنظيم، ذلك أن الأخير يستمر في التحرك على الحدود مع تركيا ويهددُ بالتالي الأمن القومي التركي والسيادة التركية. حاجت تركيا أيضًا بأن لها أقليةً تركمانيةً تنتمي إلى العرق التركي، صارت مُهددةً في بقاءها بتلك الأعمال الشنيعة التي يقوم بها تنظيم داعش هناك.⁵³

أيضاً، يوجد في شمال العراق والموصل منطقةً مهمّةً بالنسبة لتركيا تستخدمها كجوابة لصدّ أعمال الحرب التي يقوم بها حزب العمال الكردستاني ضدّها في الإقليم، فتركيا تُعتبر هذا الحزب مُنظمةً إرهابيةً تُهددُ أمنها القومي بشكلٍ مباشرٍ، فقد أرسى حزب العمال الكردستاني قواعده في منطقة سنجار غرب الموصل بعد دخول سنجار للقتال ضدّ تنظيم داعش، وقد كان خوفُ تركيا الرئيسي هو أن يتمكن حزب العمال الكردستاني من ملئ فراغِ القوّة في شمال العراق، ورغم أن سنجار قد تمّ إنقاذها من احتلال داعش، فإن حكومة العراق المركزية لا تزال ضعيفةً وغير قادرةٍ على إدارة الإقليم،⁵⁴ فضُعف الحكومة العراقية على التحكم في أراضيها التي صارت مفرخةً للتنظيمات المسلحة الإرهابية العنيفة أمرٌ يدفع تركيا بأن تمارس دور الوصاية والحماية الاستباقية على تلك الأراضي قبل أن ينتقل العنف المسلح إلى أراضيها⁵⁵، فالتدخل العسكري التركي شمال العراق كان منذ البداية تدخلاً استباقياً ووقائياً في ذات اللحظة، فهو استباقيٌّ لأنّ التنظيمات المسلحة في أراضيها تُبدي علناً رغبتها في توسيع مجال عملها وتنتظر فقط وقتاً مناسباً لذلك، فالخطرُ هنا قد يكون معلوم الجبهة بشكلٍ ما، غير معلوم الزمان والمكان الذي يتحرك فيه، أمّا كونها وقائيةً أيضاً، فذلك راجعٌ إلى أنّ تركيا تُدرك بأنّ هذه التنظيمات ذات قدراتٍ محدودةٍ الآن رغم استفادتها من دعم جهاتٍ دولانيةٍ إقليميةٍ ودوليةٍ، لذا تعمل تركيا على وأدها في المهد قبل أن يتفاقم خطرها ويصير غير متحكّمٍ فيه بشكلٍ مطلقٍ حتى من قِبل الأطراف الدولانية الداعمة له، كما أنّ الحرب التي تخوضها تركيا ضدّ هذه التنظيمات العسكرية المسلحة العنيفة، هي نموذجٌ حيٌّ عن حروب الجيل الرابع التي غطيناها نظرياً في المحور السابق، لذلك فحسابات الفوز والخسارة بالنسبة للطرفين تخضع دوماً لسياق الأهداف قصيرة المدى التي يضعها الطرفان حينما يتواجهان على الميدان في ظرفٍ زمنيٍّ بعينه، لكنّ الأمر المتيقن فيه هنا هو صعوبة مثل هذه المعارك والحروب التي تخوضها تركيا ضدّ مثل هذه التنظيمات في بيئةٍ إقليميةٍ جدّ معقدةٍ، إن لم تعمل تركيا على إيجاد حلٍّ إقليميٍّ ودوليٍّ شاملٍ لها، فسوف تستنزفُ قدرًا لا بأس به من إمكانياتها الاقتصادية والعسكرية على المدى البعيد وتبقى دوماً ورقةً

⁵³ - Saeed Bagheri, *Turkish Military Intervention in Mosul: A Legal and Political Perspective*, Blog of the European Journal of International Law, January 27, 2017, p: 01.

https://www.researchgate.net/profile/Saeed_Bagheri7/publication/313108932_Turkish_Military_Intervention_in_Mosul_A_Legal_and_Political_Perspective/links/58908cbbaca272bc14be4f6b/Turkish-Military-Intervention-in-Mosul-A-Legal-and-Political-Perspective.pdf

⁵⁴ - Ibid, p: 02.

⁵⁵ تركزت مخاوف تركيا ممّا يمكن أن تحمله أراضي شمال العراق من تهديدات ومخاطر على سلامة أراضيها وأمنها القومي على إثر نتائج استفتاء إقليم كردستان العراق الأخير شهر سبتمبر ٢٠١٧، واعتبرت تركيا قيادات الحزب الديمقراطي الكردستاني بزعامة مسعود البرزاني قيادات مُعادية لها، فحرصت على دعم حكومة بغداد الراضية لشرعية هذا الاستفتاء، وقد طُرحت في تركيا احتمالية التدخل العسكري من جديد في حالة تأزم الوضع.

ضغطٍ وابتزازٍ في أيادي قوى إقليميةٍ ودوليةٍ مُعاديةٍ لها بل وحتى صديقة.

ج. تركيا ومسألة التدخل العسكري للناطو في ليبيا:

لقد سبق لتركيا أن شاركت في قوات الناطو في العديد من المناسبات والأماكن، في البوسنة-الهرسك، كوسوفو وأفغانستان، باعتبارها حليفًا استراتيجيًا للناطو في مناطق الأزمات التي تجد تركيا نفسها ذات صلةٍ بها بشكلٍ ما. أما بالنسبة لحالة ليبيا، فقد كان الموقف التركي منطلقًا من رؤية تركيا-أردوغان بأن الديمقراطية عاملٌ حاسمٌ ومهمٌ في تحقيق الاستقرار والأمن، والازدهار والرفاه الاجتماعي والتكامل الاقتصادي في "الشرق الأوسط"، إذ آمنت بأنّ عليها أن تخطّ طريقها بمفردها نحو بناء نظامٍ نموذجيٍ للديمقراطية خاصٍ بها، وأنّ على دول المنطقة أن تسلك الطريق ذاته، لذا كانت معارضة الأتراك المبدئية لتدخل الناطو في ليبيا باعتباره تغييرًا من الخارج لا تغييرًا محليًا من الداخل من شأنه أن يعيق الديمقراطية، خاصةً إذا ما تمّ إملاؤها عبر القوة، فقد كانت حكومة أردوغان شاهدةً على ما حدث في العراق بعدما تدخلت الولايات المتحدة عسكرياً هناك سنة ٢٠٠٣. لقد ذُكرت مسألة التدخل العسكري في ليبيا تركيا والجميع بنتائج التدخل الأمريكي العسكري في العراق ما بعد صدام، من انتشارٍ للإرهاب والطائفية والأزمات والحروب الأهلية، وكلّها عوامل تسببت في اللااستقرار الإقليمي. على هذا الأساس كانت الحكومة التركية تُؤمن بأنّ أيّ عملية ديمقراطية وإصلاحٍ سياسي لا بدّ أن تكون عمليةً محليةً لا مفروضةً من الخارج،^{٥٦} وعلى هذا الأساس أيضًا، اتسم موقفها بالتردد في عرض نفسها كقوةٍ نشطةٍ في تغيير النظام، نظرًا لأنّ القذافي لم يكن يريد أن يُهزم كما فعل بنظيره المصري مبارك. علاوةً على ذلك، فإنّ مصالح تركيا الاقتصادية والتجارية والاستثمارات ووجود العمالة التركية الكبيرة في ليبيا مقارنةً بمصر، أجبرت تركيا على تبني مقاربةٍ أكثر حذرًا،^{٥٧} في هذا الصدد ذكر كاتب "المونيتور" السيد فهيم تاستكين (Fahim Tastekin) سنة ٢٠١٥ بأنّ المقاولون الأتراك في ليبيا باسروا حوالي ٥٦٥ مشروع بتكلفةٍ قدرها ٢٩ مليار دولار منذ سنة ١٩٧٣ وما تلاها، قبل عامين من "الربيع العربي" فقط، حصلت شركات الهندسة التركية ١٢٤ مشروعًا قُدِّرت قيمتها بـ ٨ مليار دولار في ليبيا. قُدِّرت قيمة المؤسسات التركية المتواجدة آنذاك في ليبيا بـ ٢,٥ مليار دولار بين أصولٍ وسنداتٍ وتعويضاتٍ، أيضًا كان هناك ١,٤ مليار دولار دُفعتٍ مستحقةً، وحوالي ١٠٠ مليون دولار من أموالٍ تركيةٍ في البنوك الليبية سنة ٢٠١١. ونظرًا لعائدات البيترودولار العالية في ليبيا آنذاك، فقد أعلن النظام الليبي بأنّه سيشرع في استثماراتٍ بالخارج بقيمة ١٠٠ مليار دولار، الأمر الذي حاكى به خيالات القادة الأتراك.^{٥٨}

فضلاً عن العامل الاقتصادي-التجاري، فقد تمكّنت تركيا في السنوات الأخيرة من مدّ يد نفوذها في منطقة شمال إفريقيا مُهدِّدةً المصالح الفرنسية التقليدية هناك، فكان رفضُ تأييد قرار الناطو بالتدخل في ليبيا مدفوعًا بالحرص التركي على

⁵⁶- Kılıç Buğra Kanat and Others, *Politics and Foreign Policy in Turkey, Historical and Contemporary Perspectives*, Seta Publications, 2015, Ankara-Turky, p: 163.

⁵⁷- Ziya Öniş *Turkey and the Arab Spring: Between Ethics and Self-Interest*, Insight Turkey Vol. 14 / No. 3 / 2012, , p: 52- 53.
http://file.insightturkey.com/Files/Pdf/insight_turkey_vol_14_no_3_2012_onis.pdf

⁵⁸- Barın Kayaoğlu, *Why Turkey is making a return to Libya?* Al-monitor, June 2016, Washington DC.

<https://www.almonitor.com/pulse/tr/originals/2016/06/turkey-libya-economic-interests-ankara-tripoli-embassy.html>

تحجيم النفوذ الفرنسي في تلك المنطقة، خاصة وأن فرنسا كانت على رأس هذا التدخل العسكري. كل ذلك يُفسّر التردّد التركي الأوّلي في اتّخاذ قرارٍ بعزل القذافي عسكرياً إلى جانب الناتو، ففي المراحل الأولى، كانت تركيا متردّدة في دعم عملية الناتو في ليبيا، لذا تعرّضت تركيا لانتقاداتٍ جديّةٍ من قِبَل قوى المعارضة في ليبيا، ومن المجتمع الدولي أيضاً، لسلبيتها الكبيرة وتساهلها ضدّ النظام القائم، ثمّ غيرت تركيا موقفها فيما بعد بعدما بدأ القذافي يستخدمُ القوة العسكرية الوحشية ضدّ المدنيين، وكذا حينما ظنّت أنّ عملية الناتو ستكون عمليةً إنسانيةً تهدف لحماية قسمٍ واسعٍ من المدنيين ضدّ النظام الوحشي.⁵⁹

إذن، يمكن القول، بأنّ التأييد التركي اللاحق لعملية الناتو العسكرية في ليبيا كان مُبرّراً بمسألة وضع حدٍّ للمأساة الإنسانية التي يُعاني منها الشعب الليبي (تدخل عسكري إنساني) واستجابةً لمطالب هذا الشعب والمعارضة التي تُمثّل شريحةً واسعةً منه، فلم تُرد تركيا أن تهدم الصورة الحسنة التي رسمتها في ذهن هذا الشعب خلال السنوات الأخيرة، خاصةً فيما يتعلّق بمواقف السيد رجب طيّب إردوغان المؤيّد للقضايا العربية على غرار حادثة سفينة مرمرة ومشادّاته الكلامية مع شمعون بيراز في مؤتمر دافوس التي صنعت منه زعيماً بطلاً في العالم الإسلامي. كما يُفهم هذا الموقف في إطار التفعيل المشترك للتحالف الإستراتيجي التركي-الأمريكي-الغربي أو لنقل عملية تبادل أدوارٍ بين تركيا والناتو، تعمل فيها تركيا على تفعيل دورها الجديد في إقليم "الشرق الأوسط وشمال إفريقيا" في مقابل أن يستفيد الناتو ممّا يمكن أن يقدمه الحلفاء في الأقاليم المجاورة لهم والتي يُريدون ضمان الاستقرار فيها أو تُشكّل مجالاً حيويّاً للتحرك بالنسبة لهم، خاصةً وأنّ تغييراتٍ كثيرة طرأت على طريقة إدارة الناتو في الآونة الأخيرة استجابةً للتحوّلات التي تشهدها بنية النظام الدولي.

د. تركيا في مواجهة الأزمة الخليجية الراهنة، هل هو نمط جديد من التدخلات العسكرية

التركية؟

في شهر جوان ٢٠١٧، أقدمت مجموعة من الدول العربية بقيادة كلٍّ من المملكة السعودية والإمارات العربية المتحدة على قطع علاقاتها الدبلوماسية مع دولة قطر، تحت ذريعة أنّ الأخيرة متورطة في دعم جماعاتٍ إرهابيةٍ معاديةٍ والتحالف مع عدوّها الرئيسي إيران في منطقة الخليج، بل إنّها جعلت من هذه المقاطعة كبدائيةٍ لحصارٍ شاملٍ ضُرب على قطر مرفقاً بقائمةٍ مُتكوّنةٍ من ١٣ مطلباً وجَب على قطر تنفيذها حتّى يزول الحصار.⁶⁰ في سابقةٍ لا مثيل لها، قامت تركيا بإرسال قواتٍ عسكريةٍ وعتادٍ إلى قطر الدولة الحليف الأقرب لها في منطقة الخليج، مُقيمةً قاعدةً عسكريةً لها لأول مرةٍ في دولةٍ عربيةٍ، تعبيراً عن موقفها الراض لهذه المعاملة التي "تُمثّل إهانةً وتتناقضاً مع المبادئ الإسلامية" كما ذكرت. لا يمكنُ وصْفُ هذا السلوك التركي بوصفٍ آخر سوى أنه "سلوكٌ استباقيٌّ" يهدفُ إلى حماية الحليف "بشكلٍ استباقيٍّ" نظراً لعدم استبعاد صانع القرار التركي بأنّ الخطوة القادمة لهذه الدول المُحاصرة ستكون عبارةً عن غزو -حليفٍ- سيصيب المصالح التركية بشكلٍ مباشرٍ في الخليج والشام، نظراً للسياسة الخارجية القطرية المُتسّقة مع نظيرتها التركية في السنوات الأخيرة، وبالتالي فقد

⁵⁹- Ziya Öniş **Op Cit**, p: 54.

⁶⁰- Giorgio Cafiero, **How Turkey fits into the Qatar puzzle?** Al-monitor, July 2, 2017, Washington DC.

<https://www.al-monitor.com/pulse/originals/2017/07/turkey-military-qatar-crisis-egypt-saudi-arabia-uae.html>

قدّمت تركيا نفسها هذه المرّة باعتبارها الحامي والضامن للأمن القومي للأصدقاء المُهدّدين في بقاءهم في "الشرق الأوسط"، خاصّةً وأنّ الإمارات دعت الولايات المتحدة لأن تنقل مقرّ قاعدتها القيادية المتواجدة في قطر الآن إلى أراضيها حتّى تتكشّف قطر أمنياً ولا تستطيع أن تجد حليفاً ضامناً لها في المستقبل. يأتي ذلك بعدما خسرت تركيا حليفاً مهماً في مصر أي السيد محمد مرسي بعد انقلابٍ عسكريٍّ عليه لم يكن لتركيا حياله فعلٌ أيّ شيء. لاشكّ بأنّ صانع القرار التركي يريد من وراء هذه الخطوة أن يُرسخ نفوذاً صلّباً في جواره العربي سيكون مسانداً لجهوده الدبلوماسية في تصفير المُشكلات وإقامة علاقات تعاونٍ مع هذه الدول وكذا حماية استثماراته الاقتصادية هناك. السؤال المطروح هنا، هل سيصير هذا النوع من "السلوكات الاستباقية" نمطاً جديداً للسلوك التركي في جواره الإقليمي كطريقةٍ لتوسعت النفوذ وكمظلةٍ أمنيةٍ إقليميةٍ جديدةٍ تسعى تركيا من خلالها إلى حماية الأصدقاء وردع الخصوم؟ أو لنقل، هل تتوفّر لدى تركيا الإمكانيات الاقتصادية، القدرة العسكرية والإرادة السياسية لمباشرة مقارنةٍ كهذه في المستقبل المنظور؟ التطوّرات القادمة لوحدها، كفيلاً بالإجابة عن هذه الأسئلة.

٢. تهديدات وشيكة.. الأزمة السورية والتدخل العسكري التركي الراهن:

يتتبع هذا العنصرُ السياق والمسار الذي أخذه التدخل العسكري التركي في شمال سوريا قبل الأزمة، عند الأزمة وفي خضم هذه الأزمة، موضحةً نمط هذا التدخل العسكري وكذا الطبيعة العسكرية التي تحملها المعارك التي تخوضها تركيا في الشمال السوري في الوقت الراهن.

أ. قبل الأزمة:

عند مجيء حزب العدالة والتنمية إلى الحكم في تركيا سنة ٢٠٠٢، تمّ النظرُ إلى سوريا باعتبارها آخر البلدان "مشكلةً" ٦١ في الشرق الأوسط. وقد بذل مسؤولو حكومة إردوغان جهوداً دبلوماسيةً مكثفةً لإحداث خروقاتٍ إيجابية في العلاقة مع سوريا. سنة ٢٠٠٥، وُجّهت أصابعُ إتهامٍ للنظام السوري بمقتل الحريري في لبنان، حينها شجعت تركيا سوريا بنشاطٍ للتعاون مع المحققين الدوليين. واجتهدت تركيا في تعزيز علاقتها مع سوريا رغم المعارضة الشديدة لإدارة بوش. ٦٢ عرفت العلاقات التركية-السورية تحسناً واضحاً منذ سنة ٢٠٠٥ مقارنةً بماضي العلاقات التي وصلت إلى تهديد تركيا لسوريا بالاجتياح إذا لم تتوقف عن دعم حزب العمال الكردستاني على أراضيها، وتقدّم زعيمه أوجلان للاعتقال، جاء ذلك مع زيارة بشّار الأسد إلى أنقرة سنة ٢٠٠٥ بعد وصول حزب العدالة والتنمية إلى الحكم، لتكون أول رحلة زيارة يقوم بها رئيس سوريا إلى تركيا منذ استقلال سوريا سنة ١٩٤٦. إنّ التغيّر في العلاقات التركية-السورية قاد دمشق مباشرةً إلى الخوف المتنامي من تهديد القوميين الأكراد، فالأقلية الكردية موجودةٌ أيضاً شمالي سوريا مثلما هي موجودةٌ في تركيا وإيران والعراق، والتقاربُ التركي مع سوريا أحدث توترًا في العلاقات مع واشنطن، لم تكن التوترات قويةً مع إدارة كلينتون التي حاولت فتح حوارٍ مع القيادة السورية، لكنها كانت قويةً مع إدارة بوش الابن الذي أراد عزل سوريا وصنّفها كدولةٍ منتميةٍ لمحور الشر.

٦١ شهدت السنوات الأولى لقدوم حزب العدالة والتنمية للحكم محاولاتٍ تركيةٍ لإرساء علاقاتٍ مقربةٍ مع الجيران العرب وتصفير المشكلات معهم، حيث أجرى إردوغان منذ وصوله للسلطة زياراتٍ لمعظم بلدان المنطقة العربية، شارحاً المنظور التركي للقضايا الإقليمية. مثلاً، في المنتدى الاقتصادي العربي في بيروت، دعا إردوغان إلى إرساء روابطٍ مقربةٍ مع البلدان العربية، وإلى توسعة العلاقات التجارية بين الطرفين. في آذار/مارس ٢٠٠٦ وبمقة الخرطوم، صار إردوغان أول رئيس وزراءٍ تركيٍ يُشارك في قمة جامعة الدول العربية، وحينها حظيت تركيا بمكانة "الضيف الدائم" في الجامعة. ومثلما ذكر ملاحظون فإن إردوغان بدأ علاقاته مع الدول العربية بخطواتٍ عملية، بدلاً من اللجوء إلى خطاب الأخوة الإسلامية. لقد كانت للسياسات التركية الجديدة المستقلة والانفتاح الدبلوماسي على العالم العربي آثارٌ كبرى، فبدأ لكثيرٍ من المثقفين العرب أنهم وجدوا أسلوباً جديداً في الدمج بين المبادئ الإسلامية والقيم الديمقراطية كما جسدها حزب العدالة والتنمية، وكانت تلك رسالةً عمليةً وإيجابيةً جداً من تركيا إلى العالم العربي. في المقابل عرفت الدول العربية انفتاحاً إيجابياً على تركيا. على سبيل المثال، كانت الجامعة العربية إحدى المنظمات التي قدّمت تمثيلها دبلوماسياً لدى بروكسل، مُعربةً عن دعمها لانضمام تركيا إلى الاتحاد الأوروبي، وذلك شهر تشرين الأول/أكتوبر ٢٠٠٥ خلال مفاوضات انضمام تركيا للاتحاد، وعرفت تلك الفترة بدايةً استثنائيةً في الدعم العربي لتركيا بشكلٍ لم يسبق له مثيل، لقد أمل العالم العربي أن تصير تركيا بانياً مهماً بالنسبة له في تطوير علاقاتٍ مقربةٍ مع أوروبا. كانت هناك خطواتٍ عمليةً جداً في تعزيز العلاقات بين الطرفين، وكان الاقتصاد والتجارة آلياً مناسبةً لذلك؛ نظراً لحاجة كلٍّ من الطرفين إلى الآخر في كثيرٍ من الملفات، لا سيما الطاقوية منها، فقد طبّق بنجاح مبدأ "صفر مشاكل" مع الجيران في الأعوام السبعة الماضية.. انظر:

See: Graham G. Fuller The New Turkish Republic: Turkey as a Pivotal State in The Muslim World, United State Institute of Peace Press, 2008, Washington D.C, USA, p: 70.

٦٢- Ann Dismorr, Op cit, p: 186.

بدأ هذا التوتر واضحاً في ربيع ٢٠٠٥، حينما فضّل المسؤولون الأمريكيون إقناع الرئيس التركي أحمد نجديت سيزار ورئيس وزرائه رجب طيّب أردوغان بزيارة دمشق. وقف الرجلان بثباتٍ محاولين إظهار الاستقلالية التركية التي تسببت في حدوث خوفٍ في واشنطن. لكنّ جهود تركيا عبر واشنطن في تنسيق مبادرة حوارٍ مع دمشق خفّضت من حدّة التوتر في مقاربة كلٍّ من واشنطن وأنقرة تجاه دمشق.^{٦٣}

ب. بداية الأزمة:

استمرت تركيا في "تفسير مشكلاتها" مع سوريا بنجاح، إلى أن وصلت "موجات الربيع العربي" إلى دمشق حيث حدثت القطيعة، وصار الرئيس السوري بشار الأسد بمثابة العدوّ الأوّل لتركيا التي حرصت على خلعها من الحكم. بعد ثلاث سنواتٍ من انطلاق الأزمة السورية، تجلّى بعدها الدولي بشكلٍ واضحٍ، وصارت مُخرجاتها مصدراً للتهديد المباشر بالنسبة لتركيا، لاسيّما ما ارتبط بحزب العمال الكردستاني وفروعه المنتشرة في المنطقة على غرار الشمال السوري. أصلاً، فقد كان موضوع حزب العمال الكردستاني - قبل الأزمة السورية - أحد أهمّ المواضيع التي تسببت في تعكير صفو العلاقات بين كلٍّ من تركيا وسوريا، إذ نظرت تركيا دوماً إلى سوريا باعتبارها مصدراً للمتمردين الأكراد في الشمال، حيث كان نظام الأسد يُوقّر لهم الحماية والدعم، ويؤوي قائدهم عبد الله أوجلان.^{٦٤}

استمرت تركيا في سياسة دعم حلفاءها من المعارضة بالأسلحة والذخائر، فضلاً عن توفير مخيمات تدريبٍ وعلاجٍ لهم، إلا أنّ ذلك لم يكن كافياً لإنهاء الأزمة أو صدّ الميليشيات العسكرية المناوئة لها على الحدود. في شهر حزيران/يونيو ٢٠١٤ حينما أعلنت داعش "الخِلافة"، عرفت السياسة الخارجية التركية تجاه الأزمة السورية تغيّراً ملحوظاً، ففي شهر آب/أغسطس ٢٠١٤ سقطت الرقّة، وتزايدت مطالبُ داعش في مناطق سوريا، وبسبب وحشيّة داعش ارتحل العديد من السوريين إلى تركيا. لقد قاد صعود داعش ومنظماتٍ راديكاليّةٍ شبيهةً إلى تحويل معالم النزاع. في شهر أيلول/سبتمبر ٢٠١٤، قادت الولايات المتحدة ائتلافاً باشر ضربات جويّة في سوريا بهدف تدمير داعش، وصار الحديث آنذاك عن وجود إمكانية لسقوط النظام صيف ٢٠١٥، الأمر الذي أدّى بروسيا إلى التداخل المباشر في النزاع شهر أيلول/سبتمبر من تلك السنة. في ذلك الوقت تمّ تمييز التورط الروسي والإيراني في النزاع بأنّه لأجل قتال داعش. في ظلّ تلك الظروف صارت إمكانية سقوط النظام أمراً صعباً وإشكالياً للغاية، كما بدأت الولايات المتحدة تعتمد أيضاً على حزب الاتحاد الديمقراطي الكردي (PYD)، وعلى الجناح المسلح لوحدة الحماية الشعبية الكردية السورية (YPG)، كجزءٍ من عقيدة إدارة أوباما عن الحرب البديلة للقتال ضدّ داعش على الميدان. هذه التطوّرات الإضافية قوّضت سياسة تركيا في سوريا، حيث تردّدت الأخيرة في المشاركة في الائتلاف ضدّ داعش في البداية، وتباطأت في التحكّم بحدودها، ممّا أدّى إلى تزايد انتقادات دول الائتلاف لها. مع ذلك، استمرت تركيا في دعم الجماعات العربية والتركمانية المعارضة ضدّ نظام الأسد^{٦٥}، والتي تُعتبر اليوم من طرف عديدين

⁶³ - F. Stephen Larrabee, Turkey Rediscovered the Middle East, Op cit.

⁶⁴ - Sabri Sayari, Op cit, p: 47.

^{٦٥} في ذلك الوقت تمّ الادعاء بأن أنقرة كانت تُدعم داعش كجزءٍ من حركةٍ إستراتيجيةٍ للحيلولة دون تشكّل ممرٍ جيوبوليتيكيٍ كردي شمالي سوريا. إلا أنّ أنقرة نفت بشدّة ذلك، وواصلت حربها على داعش عبر إطلاق حملةٍ عسكريةٍ جديدةٍ عليها، وكذا على حزب العمال الكردستاني يوم ٢٤ تموز/يوليو ٢٠١٥.

جزءاً من الجماعات الإسلامية الراديكالية على الساحة السورية. أما (PYD) فقد ربح شعبيةً لا بأس بها بسبب نجاحه ضدّ داعش، وصار له قدرةً الهيمنة على مساحاتٍ واسعةٍ شمالي البلاد، وهذا ما حفّزَ (PKK) في تركيا على مباشرة حربٍ جديدةٍ ضدّ الدولة.⁶⁶

إضافةً إلى كلّ هذه التهديدات، صارت تركيا مشلولةً الحركة في شمال سوريا بسبب أزمة الطائرة الروسية التي أسقطتها تركيا بعد أن قالت بأنّها اخترقت مجالها الجوي ولم تستجب للتحذيرات الموجهة لها شهر تشرين الثاني/نوفمبر ٢٠١٥، وذلك بسبب التدخل العسكري الروسي لدعم خصمها بشار وتشكيلها لغطاءٍ جويٍّ واقٍ لأيّ "اعتداءاتٍ أجنبية" على حليفها السوري، فخلال هذه المرحلة، صارت تركيا بشكل متزايد معزولةً في سياستها بسوريا. تزايد الوضع سوءاً بالنسبة لتركيا في شهر شباط/فبراير ٢٠١٦، حينما اتفق الفاعلان الدوليان الأساسيان في الأزمة السورية، أي الولايات المتحدة وروسيا، على وقف إطلاق النار، وقام مجلس الأمن الدولي بتبنيّ تسويةٍ حدّدت خريطة طريقٍ بعد وقف الأعمال العدائية، كما اتفقا أنّ وقف إطلاق النار هذا يتضمّن أيضاً عدم شنّ حربٍ ضدّ جماعاتٍ كداعش والنصرة، وهذا الاتفاق وضع تركيا في موضعٍ محرجٍ وصعب. ثمّ ظهر أيضاً خلافٌ بين تركيا والولايات المتحدة بخصوص الـ (PYD) الذي رفضت الولايات المتحدة تصنيفه كمنظمةٍ إرهابيةٍ، ودعمت فكرة استخدامه في الحرب على داعش، في حين رفضت تركيا ذلك واعتبرته منظمةً إرهابيةً.⁶⁷

ج. في خضمّ الأزمة:

أمام هذا الظرف الإقليمي والدولي المتشكّل ضدّ مواقف ومصالح تركيا من هذه الأزمة، جاء التدخل العسكري التركي شهر آب/أغسطس ٢٠١٦ بشمالي سوريا (عملية درع الفرات)، والذي بشرّ ببداية مرحلةٍ جديدةٍ للسلوك الخارجي التركي تجاه تطوّرات الأزمة السورية. لقد اتسمت هذه المرحلة الجديدة بحدوث تغييرٍ في أدوات الصراع بالنسبة لتركيا وذلك مع لجوئها إلى التدخل العسكري في شمال سوريا بعد أن اكتفت في المراحل السابقة بدعم قوات المعارضة السورية وحسب، إذ أرسلت هذه المرّة دباباتها وقواتها الخاصة لدعم هذه القوات في هجومها على معقل داعش الوحيد المتبقّي على الحدود التركية.

وأعلنت عن معايير الأمن التركي الجديدة المتعلقة بالحدود مع سوريا. لقد اعتبرت أنقرة داعش منظمة إرهابية منذ شهر تشرين الأول/أكتوبر ٢٠١٤، وشاركت منذ ذلك الوقت في حملاتٍ عسكريةٍ قام بها المجتمع الدولي لمحاربة الإرهاب. علاوةً على ذلك، وفّرت أنقرة دعماً بالأسلحة وغيرها لقوات البيشمركة القادمين من كردستان العراق للقتال مع السوريين الأكراد في مواجهة داعش، كما سمحت تركيا للبيشمركة بالمرور عبر الأراضي التركية، إضافةً إلى الخطط الأمنية التي طبقتها أنقرة على غرار "سياسة صفر تسامح" (Zero Tolerance Policy)، وتبنيّ مجموعةٍ من التدابير لزيادة الأمن على الحدود السورية. انظر:

See: Murat Yeşiltaş, **Neighboring a Civil War: Turkey's Border Security With Syria**, Seta Foundation For Political, Economic and Social Research, October 2015, No: 17, Ankara-Turkey, p: 08-09.

http://file.setav.org/Files/Pdf/20151028162016_analysis_17.pdf

⁶⁶- Meliha Benli Altunışık, **The Inflexibility of Turkey's Policy in Syria**, IEMed. Mediterranean, Yearbook 2016, p: 43.

<http://www.iemed.org/observatori/arees-danalisi/arxiu>

adjunts/anuari/med.2016/IEMed_MedYearbook_2016_keys_Turkey_Syrias_Policy_Benli_Altunishik.pdf

⁶⁷- Meliha Benli Altunışık, *Ibid*, p: 44.

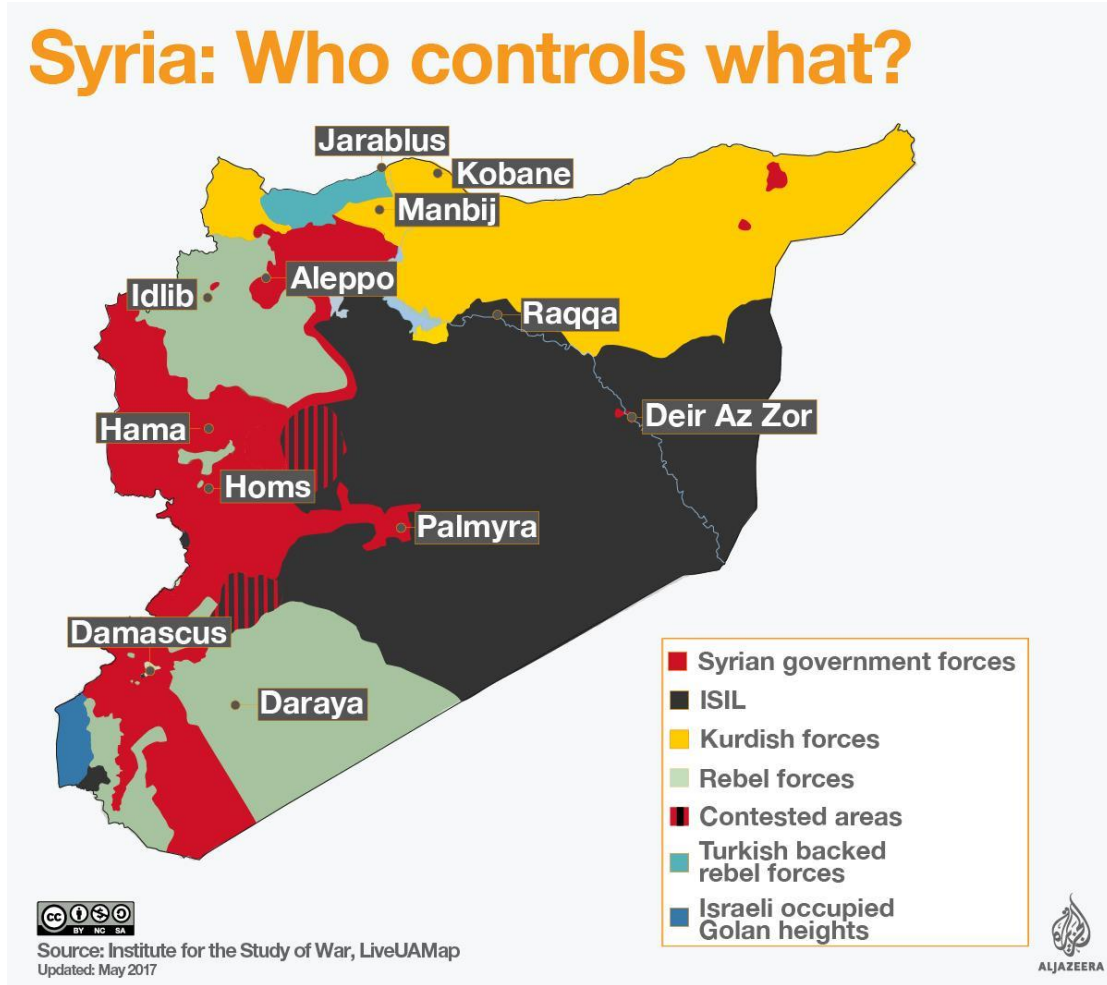
حظيت تركيا آنذاك بموافقة أمريكية للتدخل العسكري، فضلاً عن الغطاء الجوي الذي وفرته الطائرات المقاتلة الأمريكية، مُهيئةً المعركة في وقتٍ قصيرٍ مع إعلان مقاتلي المعارضة انتصارهم على داعش خلال الساعات الأولى من المعركة من دون خسائر. تمكّنت تركيا حينها فوراً من تحقيق أهدافها المتمثلة في تحرير جرابلس من داعش التي سيطرت عليها منذ شهر أيلول/سبتمبر ٢٠١٣، وهي مدينةٌ متاخمةٌ للحدود التركية ومهمةٌ بالنسبة لتركيا في إنشاء منطقةً آمنةً للاجئين. حينما أعلنت تركيا عزمها الدفع باتجاه الجهة الغربية "لتنظيف" المنطقة الحدودية بالمطلق من داعش، بدأ آنذاك أن هذه المعركة بمنزلة مؤشّرٍ جيّدٍ لبدايةٍ مرحلةٍ جديدةٍ من التعاون التركي الأمريكي في سوريا. مع ذلك بقيت المشكلة العالقة في هذا التعاون متعلّقةً بالـ(PYD) الذي تُشجّع الولايات المتحدة على استخدامه في محاربة داعش، في حين تعتبره تركيا منظمةً إرهابيةً تُشكّلُ تهديداً مباشراً للأمن القومي التركي، باعتباره امتداداً لمنظمة الـ(PKK) الناشطة على الأراضي التركية.⁶⁸

تسبّب هذا الموضوع في حدوث توترٍ وتوجّسٍ بين تركيا والولايات المتحدة، والذي بلغ أوجهُ على إثر اللقاء الذي حدث بين الرئيس التركي رجب طيّب أردوغان والرئيس الأمريكي دونالد ترامب شهر أيار/مايو ٢٠١٧، إذ هيمنت مسألة دور الـ(PYD) وجناحه العسكري الـ(YPG) في قتال داعش، خاصةً بعدما ضربت الطائرات المقاتلة التركية قواعد الأخير على طول الحدود التركية-العراقية-السورية يوم ٢٣ نيسان/أبريل ٢٠١٧. كان من المُتوقّع أن لترامب خطّةً في محاربة داعش بمنطقة الرقة من خلال تسليم الـ(PYD)، فتكتيكياً لن تجد الولايات المتحدة أحسنَ من هذا التنظيم في قتال داعش، لكن إستراتيجياً، فإن ذلك من شأنه أن يخلق أزمةً ومواجهةً بينها وبين تركيا حليفها الإستراتيجي، مواجهةً سوف تلوّح في أفق هذه اللعبة الإستراتيجية الكبرى في المنطقة. من الصعب أن تخلق الولايات المتحدة مع تركيا أزمةً في هذه اللعبة الاستراتيجية، التي تهدف من خلالها إلى جانب تركيا، وأكراد العراق، و"إسرائيل" وغالبية البلدان العربية السنيّة على رأسها السعودية إلى الحدّ من النفوذ الإيراني-الروسي الذي يعمل على قلب ميزان القوة في المنطقة في غير مصلحة أمريكا وحلفائها. سوف تتساءل الولايات المتحدة عن طبيعة علاقتها بالـ(PYD) فور هزيمة داعش، لكن الأمر واضحٌ بالنسبة لتركيا التي تعتبره تنظيمًا إرهابيًا كحزب العمال الكردستاني تمامًا، لذا تعمل تركيا للحيلولة دون سيطرته على كافة شمالي سوريا وإنشائه لممرٍ جيوبوليتيكي هناك بمحاذاة الأراضي التركية، خاصةً في المناطق التي ينشط بها الـ(PKK). لذا سوف ينظر الأتراك إلى تسليم الـ(PYD) على أنه خطوةٌ عدائيةٌ من الحليف الأمريكي، تستهدف الأمن القومي التركي بشكلٍ مباشرٍ، وأنّ أمريكا قد تلجأ إلى استخدام هذا التنظيم ضدها مستقبلاً، كما تتخوّف تركيا مستقبلاً من أن يتفق الـ(PYD) مع النظام السوري وإيران وروسيا بهدف تطويق تركيا، وفتح ممرٍ جيوبوليتيكيٍ إيرانيٍ على الأرض عبر شمالي العراق والمناطق التي يُسيطر عليها الـ(PYD) باتجاه دمشق، فيتمكّنون بذلك أيضاً من فكّ الحصار على نظام الأسد. هذه المخاوف هي التي حقّزت تركيا شهر آب/أغسطس ٢٠١٦ على التدخل عسكرياً شمالي سوريا، فبقدر ما هدفت إلى عرقلة تطوّر داعش هناك، بقدر ما سعت من خلالها إلى إيقاف مشروع خلق منطقةٍ كرديةٍ متصلةٍ الأراضي هناك، وقد كرّرت تركيا هجماتها الجوية على معقل الـ(PYD) والـ(PKK) على طول حدودها مع سوريا والعراق (سنجار)، مُوضّحةً إمكانيةً لجوئها إلى القوة العسكرية في أي

⁶⁸ – Fayasal Itani, *Why Turkey Went to War in Syria?*, Foreign Policy, AUGUST 24, 2016.

<http://foreignpolicy.com/2016/08/24/why-turkey-finally-went-to-war-in-syria-jarablus-invasion-kurds/>

لحظة لردع هؤلاء وتصفيتهم.⁶⁹



خريطة توضح المساحات المسيطر عليها في سوريا من طرف كل فصيل نهاية شهر ماي ٢٠١٧⁷⁰

انتهت عملية "درع الفرات" مع إعلان تركيا نجاح العملية في: أولاً، طرد آخر معاقل داعش على الحدود المتاخمة لها، ثانياً: إشغال خطة التنظيمات الكردية المسلحة من ربط الكانتونات التي تُسيطر عليها في الشمال السوري ببعضها البعض وتشكيل رواق جيوبوليتيكي مترابط على شكل دولة ذات مساحة معتبرة للمتمردين الأكراد في شمال سوريا وجنوب تركيا سوف تكون في المستقبل القريب منطلقاً لأعمال حزب العمال الكردستاني الإرهابية وفروعه ضد أمن وسلامة الأراضي التركية أو يُستخدم الحزب والأراضي التي يُسيطر عليها من طرف قوى إقليمية ودولية ضد المصالح التركية أيضاً. رغم نجاح العملية، إلا أنّ تركيا لاتزال مقتنعة بأنّها عملية غير كافية، مادامت لم تُنهي الخطر الإرهابي للمتمردين الأكراد الذين

⁶⁹ - James Jeffrey, *Trump's Plan to Arm Kurds Lays Bare the Strategic Vacuum in Syria*, Foreign Policy, MAY 9, 2017.

<http://foreignpolicy.com/2017/05/09/trumps-plan-to-arm-kurds-lays-bare-the-strategic-vacuum-in-syria/>

⁷⁰ See: *US begins sending weapons to Kurdish YPG in Syria*, aljazeera News, 31 May 2017.

<http://www.aljazeera.com/news/2017/05/begins-sending-weapons-kurdish-ypg-syria-170531042959705.html>

لايزالون يسيطرون على مدن مهمّة متاخمة للحدود على غرار مدينة منبج السورية^{٧١}، لذا فقد تركت تركيا الباب مفتوحاً لعمليات لاحقة تستهدف تغيير خارطة السيطرة على الميدان لصالحها^{٧٢} (جرى الحديث عن عملية تالية اسمها سيف الفرات)، لن يكون ذلك عملاً سهلاً رغم القدرات العسكرية التركية المتطورة، فهذا النمط من الحروب التي تواجه فيها دولة بجيشها النظامي ميليشياتٍ تعتمدُ أساليب حروب الجيل الرابع تتميز بكونها حروباً استنزافٍ داميةٍ تأخذ زمناً طويلاً ومن الصعب تقييم نتائجها النهائية بحسابات الربح والخسارة على المدى البعيد، ربّما ستكون حرب الوكالة هي الأسلوب الأمثل التي يمكن لتركيا مواصلته إلى غاية انتهاء الأزمة، عن طريق دعم وتدريب جماعات المعارضة السورية الموالية لها ضدّ الميليشيات الكردية المقاتلة أو ميليشيات التنظيمات المتطرفة كداعش، حتّى تتجنّب مستنقعا لا مخرج منه، كما حدث لدول أخرى أكثر قوّة (عسكريا واقتصاديا) في مناطق عديدة من العالم، على غرار ما حدث للولايات المتحدة في العراق ما بعد سقوط نظام صدام حسين. لقد نبّه خبراء عسكريون أتراك عديدين^{٧٣} إلى حجم الخسائر التي تكبدها تركيا من وراء عمليات عسكرية كهذه ما وراء الحدود، لجيش لا يملك كثيراً من الخبرة في مواجهة هذا النمط من الحروب رغم ما يملك من عتادٍ مؤهّلٍ لربح الحرب، خسائرٌ قد لا يستطيع الاقتصاد التركي تحمّل نتائجها على المديّن المتوسط والبعيد. رغم ذلك نؤكد بأنّ إنهاء هذا النوع من التدخلات التركية في شمال سوريا مرهونٌ قبل كلّ شيءٍ بالتوافقات التي يمكن لتركيا أن تعقدّها مع الفواعل الدولية في هذه الأزمة أي الولايات المتحدة وروسيا، أو المساومات التي قد تُجرى مع هذه الأطراف في أماكن أخرى من العالم تشهد نزاعاتٍ تقف فيها تركيا طرفاً فاعلاً ضدّ مصالح هؤلاء، كما هو الأمر القائم في الشيشان أو منطقة القرم.

^{٧١} لمزيد من التفاصيل الميدانية والعملياتية بخصوص عملية درع الفرات انظر:

See: Gökтуğ Sönmez, **Turkey's Euphrates Shield Operation: al-Bab and Beyond**, Terrorism Monitor, The Jamestown Foundation, Volume: 15 Issue: 4, p: 08-11.

https://jamestown.org/wp-content/uploads/2017/02/TM_February-24-2017.pdf?x87069

^{٧٢} وهذا ما حدث فعلاً، حينما شنت تركيا صبيحة يوم ٢٠ يناير/ جانفي ٢٠١٨ حملتها العسكرية الجديدة المسماة "بغصن الزيتون" في عفرين شمال سوريا مجدداً، محاولةً هذه المرة حسم المشروع الانفصالي الكردي المدعوم أميركياً والهادف -كما قلنا- إلى إقامة رواقٍ جيوبوليتيكيّ يمتدّ غرباً إلى البحر المتوسط ويربط الأراضي الشمالية المسيطر عليها من قبل الجماعات الانفصالية الكردية ببعضها البعض والتي تضعها تركيا على رأس قائمة الإرهاب لديها، وإلى هذه اللحظة لا زال القوات التركية -إلى جانب الجماعات المقاتلة السورية التي تدعمها- تخوض هذه العملية الحاسمة رغم المعارضة الأميركية لها، فهذه المرة يريد الأتراك رسم مصائرهم بأيديهم رغم كلّ تحديّ خارجيٍّ. للمزيد إرجع إلى:

آمال وشنان ونادين إغبارية، التوغل التركي في عفرين بعيون الصحافة الأجنبية والعربية، تقرير خاص صادر عن مركز إدراك للدراسات والاستشارات، يوم الإثنين ٢٢ كانون الثاني ٢٠١٨، إسطنبول-تركيا. <http://idraksy.net/smeintheforeignpress22012018>

^{٧٣} أحدهم، البروفيسور سرحات غوفانتش (Serhat Güvenç)، أستاذ العلاقات الدولية بجامعة كادير هاس التركية، في إحدى محاضراته بالجامعة، حضرها كاتب هذه الورقة البحثية. تركز أعمال البروفيسور غوفانتش على ميدان: العلاقات التركية مع الناتو، الحرب والنزاعات.

خاتمة واستنتاجات:

تَخلُصُ هذه الورقة البحثية إلى المُحاجة بالدور الفاعل للجغرافيا في حتمية بروز سلوكٍ عسكريٍّ خارجيٍّ للدولة التركية تجاه مُحيطها الإقليمي، فالجغرافيا المضطربة المحيطة بتركيا تفرضُ عليها بأن تشارك في تشكيل مصائر أُممها وحدودها السياسية، خاصةً وأنّ فواعلٍ دوليةً وإقليميةً أخرى تُحاول بدورها تشكيل هذه الجغرافيا الضعيفة في غير صالح المصالح التركية في الإقليم الكبير، بل وتستغلها وتُوجهها ضدّ هذه المصالح. حينما نتحدّث عن الجغرافيا الفاعلة، فإنّنا نتحدّث أيضاً عن بُنية الجغرافيا الدولية، أو لنقل توزيع القوة داخل جغرافية بُنية النظام الدولي، فالتنافس المُستمر بين قوى هذا النظام منذ زمن الحرب العالمية الأولى كان العامل الأوّل والأساسي في توجيه مسار السياسة الخارجية التركية وكذا في تحديد نمط وآليات تنفيذ هذه السياسة، لقد رأينا في إحدى عناصر هذه الورقة، على أيّ أساس بنّت تركيا حسابات تدخلها العسكري في جزيرة قبرص، حينما كان التنافس الأمريكي-السوفياتي على أشده، وكيف أرادت تركيا أن تستفيد (من وراء اجتياحها للجزيرة) من علاقاتها المتوترة مع السوفيات، وتكسب دعمهم في هذه القضية، بعدما تأكّد الأتراك بأنّ متانة تحالفهم الإستراتيجي مع الغرب لن يشفع لهم في كسب هذه القضية، فكانت الآلية العسكرية تعبيراً عن رغبة تركيا في الاستفادة من هذه البيئة الدولية وحسم القضية نهائياً لصالحها، خاصةً وأنها ترى في القضية مسألة أمنٍ قوميٍّ. رأينا أيضاً كيف أدّى الظرفُ الدوليُّ المتشكّل بعد الحرب الباردة إلى تنامي الدور التركي في الناتو والإستراتيجية الأمريكية في الشرق الأوسط والعالم، وكيف أرادت تركيا أن تُثبت قُدرتها وجدارتها على ممارسة هذا الدور بنجاح، وكيف ساهم ذلك في مشاركتها في حملة التحالف الدولي ضدّ العراق-صدام سنة ١٩٩١، ثمّ مشاركتها في العمليات التي كان الطيران الأمريكي يُجريها في شمال العراق، ثمّ تولّيها للمهمة كاملة بعدما صار شمال العراق مُصدراً لأشكال عديدة من المخاطر والتهديدات باتّجاه تركيا، إثر سقوط نظام صدام سنة ٢٠٠٣ وعلى رأسها الميليشيات الكردية المتمردة. إدراكُ القيادة التركية عدم قدرتها على الابتعاد كثيراً عن المواقف الأطلسية (الغرب والولايات المتحدة) تُجاه المنطقة العربية، جعلها تُعدّل موقفها أيضاً تجاه ما كان يحدث في ليبيا سنة ٢٠١١، فقد كان لهذه الأزمة سياقها الدولي أيضاً، إذ جاء التدخل الأطلسي في زمن عرفت فيه العلاقات الليبية-الروسية تنامياً مشهوداً، فضلاً عن تزايد نفوذ الصين عبر شركاتها في إفريقيا، الأمر الذي سهدّد حتماً المصالح الغربية في مناطق نفوذها التقليدية. هكذا، فإنّ الموقف التركي من الأزمة لم يكن قادراً على الحياد، خاصةً في وقتٍ صارت فيه تركيا "بحكومتها الإسلامية" (كما رآها كثير من العرب) نموذجاً يُحتذى به بين نخب العالم العربي وشعوبه الراضخة تحت الاستبداد السياسي منذ قرون. إذن، فالظرف الدولي ثمّ الإقليمي لتركيا كان يدفع بها دفعاً لأن تأخذ موقفاً وسلوكاً معيّناً في اتجاه ما. تکرّر الظرفُ الإقليمي مجدّداً في أزمة الخليج الأخيرة، حينما شعرت تركيا بأنّ حلفاءها المباشرين صاروا مُهدّدين بالزوال من طرف الجيران، أرادت تركيا أن تُظهر قدرتها الحازمة على حماية الحلفاء بعدما خسرت حليفاً في مصر كانت تعتقد بأنّها ستغيّر معه الكثير في المنطقة العربية لصالحها. أمّا بالنسبة للأزمة السورية، فقد كانت أزمةً دوليةً بامتياز، تنافسُ جيوبوليتيكيٌّ صفرّيٌّ بين روسيا والولايات المتحدة، عن طريق استخدام حلفاءٍ إقليميين وحروبٍ وكاليةٍ، وجدت تركيا نفسها في خضمّ تنافسٍ يجري عند حدودها، من شأنه أن يغيّر الجغرافيا المُحيطة بها في غير

صالحها إذا لم تُساهم هيَ بنفسها في تشكيل مصائرها. لكن مع ذلك، فقد عكست هذه الأزمة بشكلٍ جليٍّ حدود القوة والفعل للسياسة الخارجية التركية في محيطها الإقليمي في هذه الحقبة، إذ اتضح بأن نجاح مشروع "العمق الاستراتيجي" الذي رسمه أحمد داوود أوغلو، لن يرتبط حتمًا بالإرادة التركية. والثقة، والقوة والإمكانات التركية وحسب، وإنما يرتبط نجاحه أيضًا بالحرية التي قد تتمكن تركيا من تحصيلها في صراع مصالح القوى الدولية والإقليمية لاسيما في جوارها الإقليمي. لقد سلّطت الأزمة الليبية أولاً الضوء بشكلٍ واضحٍ على حقيقة أنّ فعالية السياسة الخارجية التركية تطلّبت إعادة الانحياز إلى جانب الغرب، والمشاركة في الائتلافات المعقودة بقيادته، ثم عكست الأزمة في سوريا ثانيًا (في مراحلها الأولى) محدودية مصادر القوة الناعمة التركية. من النواحي الاقتصادية والدبلوماسية، لِحَثِّ إصلاحٍ فعّالٍ عبر ممارسة ضغوطٍ على بشار الأسد، ثم محدودية قوتها الصلبة في تحقيق الأهداف التي تسعى إليها، خاصةً إذا ما كانت متصادمةً مع المصالح الأمريكية في المنطقة، التي قد تكون إحداها حتمًا تقويض حرية الحليف التركي، واستخدام أوراق مساومةٍ ضده حال تمرده على المصلحة الأمريكية، مثلما يحدث الآن من دعمٍ أمريكيٍّ للجماعات الكردية المسلحة، أو ربّما حينما يأتي الزمن الذي تُعلن فيه تركيا اكتفاءها الذاتي واستغناءها المطلق عن الغرب، وربّما توجّهًا نحو البحث عن حلفاء آخرين في المستقبل يتعاملون معها على قدم المساواة دون أيّ منطلق هيمنةٍ أو تقويض.

المراجع المستخدمة في الدراسة:

المراجع باللغة العربية:

١. فيليب روبنس، تركيا والشرق الأوسط، ترجمة: ميخائيل نجم خوري، دار قرطبة للنشر والتوثيق والأبحاث، الطبعة العربية الأولى ١٩٩٣، ليماسول-قبرص.
٢. آمال وشنان ونادين إغبارية، التوغل التركي في عفرين بعيون الصحافة الأجنبية والعربية، تقرير خاص صادر عن مركز إدراك للدراسات والاستشارات، يوم الإثنين ٢٢ كانون الثاني ٢٠١٨، إسطنبول-تركيا.

<http://idraksy.net/smeintheforeignpress22012018>

المراجع باللغة الأجنبية:

Books:

1. Ann Dismorr, Turkey Decoded, Saqi First Published 2008, Beirut-Lebanon.
2. Buğra and Others, Change and Adaptations in Turkish Foreign Policy, Seta Publications, First Published 2014, Ankara-Turkey.
3. Graham G. Fuller The New Turkish Republic: Turkey as a Pivotal State in The Muslim World, United State Institute of Peace Press, 2008, Washington D.C, USA.
4. Kılıç Buğra Kanat and Others, Politics and Foreign Policy in Turkey, Historical and Contemporary Perspectives, Seta Publications, 2015, Ankara-Turky.
5. Nasuh Uslu, Turkish foreign Policy in The Post-Cold War Period, Nova Science Publisherd, New York, USA, 2013.
6. Tareq Ismael and Mustafa Aydin, Turkey's Foreign Policy in the 21st century: A Changing Role in World Politics, Ashagate Publishing Zimited, England, 2003.
7. Vojtech Mastny and R. Craig, Turkey Between East and West: New Challenges For a Rising Power, Nation Westviweur Press, First Puplished, 1996, USA.

Articles and Researchs:

8. Banu Eligür, **Turkish-American Relations Since the 2003 Iraqi War: A Troubled Partnership**, Crown Center for Middle East Studies, Brandeis University, May 2006, No. 6.
<http://studylib.net/doc/14462649/middle-east-brief-brandeis-university-crown-center>
9. Barın Kayaoğlu, **Why Turkey is making a return to Libya?** Al-monitor, June 2016, Washington DC.
<https://www.almonitor.com/pulse/tr/originals/2016/06/turkey-libya-economic-interests-ankara-tripoli-embassy.html>
10. Chet Richards, Adams and Partners, **Fourth Generation Warfare**, Defence and The National Interest: project white horse.
http://www.projectwhitehorse.com/pdfs/1a.%204GW_Primer.pdf
11. Donald J. Reed, **Beyond the War on Terror: Into the Fifth Generation of War and Conflict**, Studies in Conflict & Terrorism, 31, 2008.
<http://www.tandfonline.com/doi/abs/10.1080/10576100802206533?journalCode=uter20>
12. Eve Massingham, **Military Intervention for Humanitarian Purposes: The Responsibility to Protect Doctrine: Does the Responsibility to Protect doctrine advance the legality of the use of force for humanitarian ends?**, International Review of The Red Cross, Volume 91 Number 876 December 2009.
<https://www.icrc.org/eng/assets/files/other/irrc-876-massingham.pdf>
13. Fayasal Itani, **Why Turkey Went to War in Syria?**, Foreign Policy, AUGUST 24, 2016.
<http://foreignpolicy.com/2016/08/24/why-turkey-finally-went-to-war-in-syria-jarablus-invasion-kurds/>
14. Ghanshyam Singh Katoch, **Fourth Generation War: Paradigm For Change**, Naval Postgraduate School Monterey, California, June 2005? USA.
<http://www.dtic.mil/dtic/tr/fulltext/u2/a435502.pdf>
15. Giorgio Cafiero, **How Turkey fits into the Qatar puzzle?** Al-monitor, July 2, 2017, Washington DC.
<https://www.al-monitor.com/pulse/originals/2017/07/turkey-military-qatar-crisis-egypt-saudi-arabia-uae.html>
16. Göktuğ Sönmez, **Turkey's Euphrates Shield Operation: al-Bab and Beyond**, Terrorism Monitor, The Jamestown Foundation, Volume: 15 Issue: 4.
https://jamestown.org/wp-content/uploads/2017/02/TM_February-24-2017.pdf?x87069

17. James Jeffrey, **Trump's Plan to Arm Kurds Lays Bare the Strategic Vacuum in Syria**, Foreign Policy, MAY 9, 2017.
<http://foreignpolicy.com/2017/05/09/trumps-plan-to-arm-kurds-lays-bare-the-strategic-vacuum-in-syria/>
18. Joe Barnes and Others, **Preemptive and Preventive War: A Preliminary Taxonomy**, The James A. Baker III Institute For Public Policy, Rice University, March 2007.
https://www.bakerinstitute.org/media/files/Research/50987fa2/Preemptive_and_Preventive_War-1.pdf
19. Meliha Benli Altunışık, **The Inflexibility of Turkey's Policy in Syria**, IEMed. Mediterranean, Yearbook 2016.
http://www.iemed.org/observatori/arees-danalisi/arxiu_adjunts/anuari/med.2016/IEMed_MedYearbook_2016_keys_Turkey_Syrias_Policy_Benli_Altunisik.pdf
20. Murat Yeşiltaş, **Neighboring a Civil War: Turkey's Border Security With Syria**, Seta Foundation For Political, Economic and Social Research, October 2015, No: 17, Ankara-Turkey.
http://file.setav.org/Files/Pdf/20151028162016_analysis_17.pdf
21. Mustafa Aydin, **Determinants of Turkish Foreign Policy: Changing Patterns and Conjunctures During the Cold War**, Middle Eastern Studies, Vol. 36, No: 1, Jan, 200.
<http://www.sbu.yildiz.edu.tr/~faksu/Fuatyayinlar/TDPIIdocs/determinantstdp.pdf>
22. Philip Rpbins, **Turkish foreign policy since 2002: between a 'post-Islamist' government and a Kemalist state**, International Aff airs 83: 1 (2007).
<http://www.sbu.yildiz.edu.tr/~faksu/Fuatyayinlar/TDPIIdocs/24367788.pdf>
23. Saeed Bagheri, **Turkish Military Intervention in Mosul: A Legal and Political Perspective**, Blog of the European Journal of International Law, January 27, 2017.
https://www.researchgate.net/profile/Saeed_Bagheri7/publication/313108932_Turkish_Military_Intervention_in_Mosul_A_Legal_and_Political_Perspective/links/58908cbbaca272bc14be4f6b/Turkish-Military-Intervention-in-Mosul-A-Legal-and-Political-Perspective.pdf
24. Sabri Sayari, **Turkey and the Middle East in the 1990s**, Journal of Palestine Studies, Vol. 26, No. 3. (Spring, 1997).
25. Sonali Huria, Failed **States and Foreign Military Intervention: The Afghanistan Imbroglia**, Institute of Peace and Conflict Studies IPCS Special Report 67, February 2009, New Delhi, India.
http://ipcs.org/pdf_file/issue/SR66-Sonali-Final.pdf

26. Stephen Larrabee, **Turkey Rediscovered the Middle East**, Foreign Affairs, ESSAY July/August 2007 Issue.
<https://www.foreignaffairs.com/articles/turkey/2007-07-01/turkey-rediscovered-middle-east>
27. Şanan Kardaş, **Humanitarian Intervention: The Evolution of The Idea and Practice**, Perceptions Journal Of International Affairs, June - July 2001 Volume VI - Number 2.
<http://sam.gov.tr/wpcontent/uploads/2012/02/SabanKardas2.pdf>
28. **US begins sending weapons to Kurdish YPG in Syria**, aljazeera News, 31 May 2017.
<http://www.aljazeera.com/news/2017/05/begins-sending-weapons-kurdish-ypg-syria-170531042959705.html>
29. William Hale , **Turkey, The Middle East and Gulf Crisis**, International Affairs (Royal Institute of International Affairs 1944-),Vol. 68, No.4 (Oct., 1992).
30. Ziya Öniş **Turkey and the Arab Spring: Between Ethics and Self-Interest**, Insight Turkey Vol. 14 / No. 3 / 2012.
http://file.insightturkey.com/Files/Pdf/insight_turkey_vol_14_no_3_2012_onis.pdf